إحياء لُغَة الإسلام العالمية

وتَجدِيدَها من خِلال
تَأصِيل البَدائل و تَحدِيث الوَسَائل

تحديد واعٍ للمُنطَلَقات الفكرِّية المُنظّمة والمفصّلة عَلاقة الأطروحَات المستجدّة بإعادة تَرتيب وعي الأمّة على منهج الأبوّة الشرعي القائم على الوسطّية الشرعّية والاعتدال من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ ولا صراعٍ ولا تسييسٍ.

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور

عفَا الله عنه



١٤٢٦هـــ - ٢٠٠٥م

❖ **الكتاب**: إحياء لغة الإسلام العالمية .

❖ **الكاتب**: المفكر والداعية الإسلامي

أبي بكر العدني بن علي المشهور.

❖ **الطبعة**: الأولى .

❖ **الناشر والتوزيع والتجهيز الفني**: منتديات وادي حضرموت الثقافية الاجتماعية.

العنوان: الجمهورية اليمنية – وادي حضرموت

muntada@goraba.net

نبذة عن الناشر :

(منتديات وادي حضرموت الثقافية الإجتماعية)

قال تعالى: (**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**) صدق الله العظيم ..

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين على أمور الدنيا والدين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد..

إن من تنفسات مرحلة الوحدة المباركة إتاحة الفرصة لذوي الكفاءات والخبرات العلمية في اليمن الميمون تفعيل الواقع الإجتماعي وإعادة ترتيبه على أسس المعرفة الواعية التي تتلاءم مع مجريات الحياة المعاصرة مع المحافظة على نصاعة الماضي وأصالة التاريخ الإسلامي المجيد.. وبما أن الأمة الإسلامية عموماً في حاجة الى تنوع المسائل لمعالجة آثار المراحل المتعاقبة فإن المنتديات الثقافية الإجتماعية سيكون لها الدور الفاعل في ترشيد الواقع العلمي ونشر الثقافة الإسلامية والتعليم الأبوي وترسيخ مبادئ السلام والمحبة والرحمة التي جاءت بها الديانة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة

والسلام بالتعاون المشترك مع بقية شرائح المجتمع ورموزه الفكرية والعلمية لتهيئة جيل متزن يعالج الأمور بالحكمة والموعظة الحسنة يرفض التطرف والإندفاع ويأبى تهمة الإرهاب ويسهم في معالجة دوافعها وأسبابها على المستوى المحلي والعالمي ويجدد مفهوم الجهاد الشرعي ليشمل كافة شؤون الحياة بما فيها إجتثاث الظلم والعدوان وإدانته ومحاربته بكل صور الإدانة والمقاومة العملية المشروعة.. إن المنتديات تؤمن بقضية بناء الإنسان وتؤكد أنه لايمكن بناء الشخصية المتكاملة إلا بالعود الواعي إلى حقائق الدعوة الإسلامية علما وعملا ورؤية وتطبيقا مع الاستفادة من التربية الواعية للسلف الصالح الذين رسموا منهج البناء المتكامل بالعلم والعمل والإخلاص والورع والخوف من الله ورسموا للأجيال صورة المجد الأثيل بمواقفهم الخيرة في حضرموت والعالم.. والخير كل الخير في عودتنا جميعا للعمل على تقريب وجهات نظر الأمة الواحدة وتجسيد مبدأ القواسم المشتركة من غير إفراط ولا تفريط ورفض العيش والمجد على حساب الآخر، وستقوم المنتديات في كافة فعالياتها ببث روح الوحدة والتعاون والعمل المشترك مع كافة الخيرين في هذه المرحلة المباركة تحت إطار التجديد الواعي لمضامين مدرسة حضرموت

العالمية ذات الارتباط المسند الوثيق بكتاب الله وسنة رسوله والأخلاق النبوية شاهد ذلك قوله تعالى : (**الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين**)..

أهداف المنتديات :

إن المنتديات الثقافية الإجتماعية ذات العلاقة بنشاط أربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية تُعد أحد السقوف الفكرية المتنامية، وأيضاً أحد المحطات الواعية في التركيب الهيكلي لأربطة التربية الإسلامية وظيفتها :

- احتضان الشباب والمفكرين والباحثين والعلماء من قوى التشكيلات الاجتماعية المعاصرة ،وتوجيههم لخدمة الدين والوطن والحياة .
- حجز العقول المفكرة والواعية عن وحول المراحل وتبصيرهم بعلاقة الدين بالواقع ..
- تفعيل المواهب والقدرات العلمية والفكرية لتصب في قوالب معاصرة ذات علاقة ببناء

الإنسان والمجتمع بعيداً عن الأجواء السياسية
والصراع الحزبي والاجتماعي ..

ولأجل تحقيق هذه الأهداف نضع هنا الضوابط المساعدة للجميع في معرفة أبعاد المنتديات الثقافية الاجتماعية وأهدافها :

١- المنتدى الثقافي ملتقى فكري وعلمي يضم كافة الشرائح الاجتماعية ويفعّل مواهبها وقدراتها المتنوعة في قوالب إيجابية لخدمة الدين والوطن والحياة .

٢ - المنتدى الثقافي يعني بالبناء الفكري والعلمي الواعي ولا علاقة له بالأوضاع السياسية وما يدور فيها أو حولها اللهم إذا كان الإطلاع من خلال ما ينشر ويكتب إعلامياً في إطار التفاعل الواعي مع واجب المرحلة .

٣ - المنتدى الثقافي يخدم الوطن بكافة إمكانياته وعائداته ويناصح الجهات الرسمية ويسهم في تماسك المجتمع وتفعيل الواقع بالحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة ويتعاون كل التعاون مع مؤسسات الدولة التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية لخدمة الوطن والمجتمع وفقاً لإمكانياته وظروفه .

٤ - يقدم المنتدى خدماته العلمية والفكرية والاجتماعية على النحو التالي :

- إستقطاب كافة الشرائح المذكورة إلى مقر المنتدى للاستفادة العلمية من المكتبة والمجلات ، ومشاهدة البرامج الموجهة ووسائل الترفيه .
- إقامة محاضرات دورية في كل شهر مرة أو مرتين ذات علاقة بالحياة والدين والوطن ويُدعى إليها محاظرون أولى دربه ووعي وتوثيق ذلك سواء في مقر المنتدى أو في المؤسسات الرسمية والشعبية .
- إحياء المناسبات الإسلامية ذات العلاقة بتاريخ الأمة والإعداد المسبق لها ، وعرض مواد المناسبة في صورة جلسات شعبية يُعدّ لها إعداداً علمياً بالأشعار والمحاضرات والمسرح والعرض السينمائي وغيره.
- إقامة الندوات والحلقات العلمية عن كافة الظواهر : كالأمراض المعدية / الترشيد الزراعي/ والبيطري ..وغيرها.
- تفعيل أمور الأربطة العلمية ودور العلم الشرعي والدراسة العليا بتوجيه الشباب إليها ومساعدة الباحثين والمفكرين

للحصول على المعلومات النصية ذات العلاقة بالبحوث والمؤلفات والمخطوطات بالتعاون مع مركز الدراسات وبقية مراكز البحوث والدراسات الرسمية و المكتبات العامة .

تشجيع التعليم الأبوي الأهلي ومتابعة مواقعه وإحياءها واحتضان القائمين بها ومساعدتهم في كافة الشؤون المطلوبة وفق ظروف المنتدى وإدارة الأربطة ، ويتحدد التعليم الأبوي الأهلي على :

- الكتاتيب والمعلامات القديمة .
- الأربطة والمدارس والزوايا العلمية وحلقات المساجد .

- ترتيب علاقة طلاب العلم بالشيوخ للأخذ والتلقي الفردي.

٥ - يزود المنتدى بكافة الوسائل الثقافية والفكرية كالمكتبات والأشرطة المرئية والسمعية والمجلات الأسبوعية واليومية والشهرية والدورية والبحوث العلمية حسب الإمكانات المتاحة للأستفادة منها في موقع المنتدى .

٦ - يصور المنتدى النشرات الفكرية والعلمية والمطويات الثقافية والمجلات الحائطية ويتم من خلالها تفعيل دور الشباب وتشجيعهم على الكتابة والنشر نثراً وشعراً .

٧ - المنتدى ليس بديلاً عن المسجد والمدرسة والرباط وإنما رافداً لها ولذلك يجب توجيه المشاركين والراغبين في الأنشطة أن يعمروا مساجد الله في أوقاتها وكذلك الاعتناء بمواقع الدراسة والعلم والتردد عليها ويمكن للمنتدى أن يسهم مع هذه المؤسسات بتوجيه الجميع ومساعدة الطلاب على تقوية الدراسة الرسمية والأهلية بالمراجعة لدى المدرسين والمثقفين في المنتدى وفق أوقات محددة يمكن ترتيبها واختيارها سواء في المنتدى أو في الأربطة ودور العلم .

من أنشطة المنتديات :

- **الحلقة العلمية في ذكرى الأمام أحمد بن عيسى المهاجر:**

قد شاركت المنتديات في تنظيم هذه المناسبة خلال خمس سنوات متتالية في شهر محرم حيث تقوم باستضافة العلماء والمفكرين والمثقفين لإلقاء الأبحاث والمحاضرات حول هذه

الشخصية وكذلك المراحل التاريخية التي تمر بها الأمة الإسلامية بالعموم والوادي بالخصوص وعلى هامش الحلقة يقام معـــرض المدرسة الأبوية وأمسيات ثقافية وتختتم الحلقة في شعب الإمـــام المهاجر .

- **الحلقة العلمية في ذكرى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي**

من أجل إيقاظ ضمائر الشعوب للتعرف على رجولة الرجال الذين صنعوا ثوابت الوسطية الشرعية والاعتدال وأبقوا آثـــار بصماتهم الواعية حجة تحرك همم الأجيال إلى تطبيـــق مفهـــوم كتاب الله وسنة رسوله مقرونة بالأخلاق وأســـانيد الاتـــصال بعيدا عن التطرف وسوء التصرف والانفعال شاركت المنتديات في ترتيب هذه الحلقة العلمية بوادي دوعن في شهر رجب مـــن كل سنة، والمنتديات تأمل في المستقبل ان شاء الله إحياء أكثـــر من شخصية في هذا الوادي المبارك.

النـدوات العلمية :

شاركت المنتديات في تنظيم عدد من النـــدوات العلميـــة في المجالات الدينية والدعوية أو المناسبات الإسلامية أو ندوات طبية

أو ندوات تتحدث عن شخصية من شخصيات العلـــم والأدب والفكر في مدرسة حضرموت أو ندوات تجمع كافة الـــشرائح الإجتماعية ويكون محور النقاش القواسم المشتركة بـــين هـــذه الشرائح ، من أهم هذه الندوات :

- الندوة العلمية في ذكرى الإسراء والمعراج .
- الندوة العلمية في ذكرى المولد النبوي الشريف .
- الندوة العلمية في ذكرى الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر .
- الندوة العلمية في ذكرى رابعة حضرموت الشيخة سلطانة .
- الندوة الطبية في مرض السارز.
- الندوة الطبية حول أمراض العيون .
- الندوة الطبية حول أمراض القلوب وموت الفجاءة .
- الندوة العلمية عن قضية فلسطين الأسباب والمعالجة .
- الندوة العلمية في شرح كتاب الأبنية الفكرية .
- الندوة العلمية بعنوان : الدورات التربوية التعليمية وأثرها في الإجازة الصيفية .
- ندوة بعنوان : موقع المسؤلية من خلال خدمة الإسلام .
- ندوة في شرح المنظومة الكاشفة للعلامة أبي بكر المشهور .

- الندوة العلمية الحوارية التربية والتعليم نحو مستقبل أفضل .
- الندوة العلمية الحوارية التربية والتعليم والدعوة الى نحو دمج شرعي حضاري واعي .
- الندوة العلمية في حولية الصحابي الجليل عباد بن بشر .

شارك في هذه الندوات جملة من العلماء والأدبـــاء والمفكـــرين والمثقفين و المتخصصين في مجال الطب وغيره، وتطمح المنتديات في إستضافة المزيد لتوسيع دائرة الندوات إن شاء الله.

المحاضرات الثقافية ،الدعوية ،التربويـــة الفكرية،العلميـــة والأدبية :

تنظم المنتديات على مدار السنة عدد من المحاضـــرات لمجموعة من الشخصيات البارزة سواء من داخـــل وادي حضرموت أو اليمن أومن خارج اليمن لرفع مـــستوى الوعي والإدراك داخل الشعوب بالنسبة إلى قضايا الأمـــة والأطروحات العلمية المتجددة.

الخروج الـــدعوي الطـــبي الى المنـــاطق والقـــرى في وادي

حضرموت :

ينظم شباب المنتديات خروج دعوي وطبي في نفس الوقت إلى كثير من قرى ومدن حضرموت وهذه من المميزات التي يتميز بها المنتديات في أن الداعي المتكلم في قضايا الشريعة هو نفسه الطبيب الذي يعالج أمراض الناس فالحمد لله على هذه النعمة.

التثقيف الذاتي والدروس لمجاميع الشباب في داخل المنتديات :

المنتسبين الى المنتديات بحاجة الى زيادة في المعلومات وتكثيف للدروس سواء كانت فكرية أو أدبية أو فقهيه .. الخ لذلك تقوم المنتديات بترتيب أيام الأسبوع الى دروس وقراءة في الكتب ومناقشات تستهدف مواكبة العلم لمجريات الواقع.

السيرة الذاتية للمؤلف:

- هو الشيخ العلامة أبوبكر العدني بن علي بن أبي بكر بن علوي المشهور .

- ولد بمدينة أحور عام١٣٦٦هـ وتربى وتعلم منذ صغره على يد أبيه مفتي مدينة أحور وعالمها الداعي علي بن أبي بكر المشهور .

- تلقى العلوم على المشائخ في أحور وعدن وارتحل مع أبيه الى حضرموت لطلب العلم .

- درس المرحلة الثانوية والجامعية إنتسابا ثم إلتحق في سلك التربية والتعليم .

- اضطرته الظروف أبان الحكم الشيوعي في جنوب اليمن الى السفر للحجاز وهناك تلقى العلم الشرعي على عدد من مشائخ الحجاز والشام ومصر وفي مقدمتهم المربي الفاضل العلامة عبدالقادر بن أحمد السقاف .

- أسس ١٦رباطا علميا و٨٠مركزا تعليميا في أنحاء الجمهورية اليمنية بُعيد ظهور مرحلة الوحدة المباركة .

- أقام عشرات الدورات الصيفية لطلاب وطالبات المدارس .

- أسَّس دار الزهراء لتعليم المرأة وأقام عدة فروع لها في أنحاء المحافظات .

-أسس مدرسة الفتيان لتحفيظ القرآن الكريم .

- أسَّس مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث وأهم ما يؤديه المركز الإشراف على الحلقات العلمية التي تصحح طرفي الإفراط والتفريط بين مدارس الإسلام في الواقع المعاصر وخصوصا في العلاقات الروحية .

- أسَّس المنتديات الثقافية الاجتماعية ومنها منتديات وادي حضرموت التي تسهم في إثراء الجانب الثقافي من خلال الحلقات العلمية والندوات في مختلف المجالات ، وفي الجانب الإجتماعي من خلال الترول الميداني طبيا ودعويا ورياضيا الى المناطق .

من أطروحاته الفكرية المتميزة :

- وضع فكرة تقسيم المسيرة الإنسانية الى قسمين المدرسة الأبوية وروادها الأنبياء والعلماء والصالحون، والمدرسة الأنوية ورائدها الشيطان وأعوانه من الدجاجلة والكفار .

- أعاد لحمة ركنية (العلم بعلامات الساعة) كركن رابع الى أركان الدين كما هو مقرر في حديث جبريل .

- أضاف(سنة المواقف) كإضافة محمودة تضاف الى سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم القولية والفعلية والتقريرية .

-كشف برؤية تحليلية الأُسس والمقومات التي قامت عليها مدرسة حضرموت في تاريخها المتتالي بدءا بموقف المهاجر أحمد بن عيسى في جمع أشتات الأمة على قواسم الإسلام المشتركة ومرورا بمواقف الفقيه المقدم في كسر السيف كدلالة على التعايش السلمي .

- دعا الى الجمع بين العلم الأبوي المسند والعلم الحديث الأكاديمي من خلال ما أسماه بالمثلث المدموج .

- دعا الى تصحيح الانحرافات الفكرية من خلال المفاهيم المصحَّحة التالية:(العقل السليم في القلب السليم) (الغاية تقرر الوسيلة) (والإنسان قبل البنيان والمعلم قبل المنهج والتربية قبل التعليم) .

المطلع القرآني :

﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن
تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟
مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا
لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن
يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ
﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ
أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ
أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

[يونس: ٣٧ – ٤١].

شاهد الحال ..

(عن حارث الأعور) مررتُ بالمسجد فـــإذا النّـــاس يخوضـــون في الأحاديث فدخلت على عليّ (كرم الله وجهه) فأخبرته، فقـــال: أوقد فعلوها؟ قلتُ: نعم، قال: أما أني سمعتُ رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يقول: ألا إنها ستكون فتنة. قلتُ: فما المخـــرج منـــها يارسول الله؟! قال: « **كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه مـــن جبـــار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصّراط المستقيم، وهو الذي لا تزيـــغ به الأهواء ولا تلتسنّ إليه الألسنة، ولاتشبع منه العلمـــاء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنتهِ الجن أن سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا ﴾، من قال به صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُـــدي إلى صراط مستقيم** ».

رواه الترمذي جمع الفوائد ص١٦٣

الإهــداء..

- إلى الحَائرين بين المفــاهيم الجامــدة والحيــاة المتحركة الواعدة.
- وإلى شباب المرحلة وأحزابها وجماعاتها المتكتلة الراغبين في معالجة انحراف المرحلة والقــائمين على تحديث الوسائل وتأصيل البدائل .
- وإلى المجاهدين في سبيل الله ((**بالكلمة الطيبة**)) في مرحلة السلطان الجائر تمهيداً للوعد المأمول..

واستجابة لقول النبــيّ صلى الله عليه وسلم:

((**أَفضَلُ الجِهَادِ كَلمَةُ حَقٍّ عِندَ سُلْطَانٍ جَائر**))

أخرجه أبو داود (٥٩/٥) والترمذي (٣١٨/٣) وابن ماجه (١٣٢٩/٢).

المؤلف

المقدمة..

الحمد لله الذي جمع في الأصلين الشريفين أسس الضوابط العلمية والعملية لشؤون الإنسان في الحياة.. وما بعد الحياة، والصَّلاة والسلام على النبيّ المبعوث بالتفاؤل والبناء وتصحيح ما أفسدته الأزمنة والمراحل، في كل منحى واتجاه، وعلى آله الأكابر وصحابته المفاخر، وعلى التابعين لهم بإحسان في فَهِم مدلولات علم الباطن والظاهر، وعلى كلّ من تبعهم من هذه الأمة بإحسان إلى يوم الدِّين.

(وبعد)..

فإنّ مستجدات الحركة الإنسانية بعمومها تشير إلى اندفاع العالم طوعاً أو كرهاً نحو ما سماه النبي صلى الله عليه وسلم بمسيرة الأمة نحو جحر الضَبّ في حديثه القائل: « **لتتبعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قبَلكم شِبراً بشِبرٍ وذِرَاعاً بذراعٍ حتى لَو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخلتمُوهُ..** قالوا يا رسول الله: (اليهود والنصارى؟)، قال: **فمن!** »[1]..

والمسيرة المشار إليها قد انتقلت في عصرنا إلى قوالب جاهزة المسارات والمساقات كُتب عليها من الخارج لوحة عريضة خلف

---

١) أخرجه البخاري (٦/٦١٣ فتح) ومسلم (٢/٤٦٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

سهم موجّه (الاتجاه الإجباري) بحيث لا يستطيع أي سائر في هذه المسارات إلاّ أن ينطلق وفق إشارات الطريق بلا منفذ ولا منعــــرج آخر..

وهذا الاتجاه الإجباري الذي تسير فيه الأمة.. إنما جـــاء بفعـــل تدبيرات إنسانية واعية عرفت كيف تجمع خيوط المراحـــل وأبعـــاد المنطلقات، وتوجهها توجيهاً يضيق المساحات المتباعدة، ويدمج المسار في المسار حتى صَارَ من الضرورة بمكان أن يحتشد الركب بوســـائله ومسائله في المسار الأخير المؤدي حتماً إلى جُحْر الـــضَبّ، وجحـــر الضب من وجهة نظر الإسلام (منهج المسيخ الدّجال). أمّـــا مـــن وجهة نظر العباقرة الإنسانيين والمفكرين والمثقفين (فالعالم الإنـــساني الحُر).

ونجزم يقيناً أن هذا الاتجاه قد بدأ العمل لأجله منذ زمن محـــدد الهوية والمعالم، وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما أشار إليه نبي الأمة من بداية الخليقة ووضع الإنسان لنفسه ومستقبله أوليات الانحرافات والتحولات.. « **مَا من فِتْنَةٍ من عَهدِ آدم إلاّ وهي تَضعُ أو تَصنَعُ لِفتنةِ الدَّجال** »[1].

القسم الثاني: بروز علامات الساعة في أول مراحل البعثة والرسالة المحمّدية.. في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: « **بعثتُ أنا والسَاعة كَهَاتَين** »[2].

فالمسيرة الدّجالية العالميّة.. جاءت مرافقة لبروز الرسالة النورانية الخاتمة، وكانت على عهد صاحب الرسالة اختباراً صعباً وامتحاناً عسيراً لمنهجية الدعوة الجديدة وابتلاء لأتباعها..

---

(١) قال الإمام أحمد في مسنده (٣٨٩/٥) ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، قال : سمعت الأعمش، عن أبي وائل عن حذيفة، قال: ذُكر الدجال عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ((لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا.. صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال))، قال الحافظ نور الدين الهيثمي في المجمع (٣٣٨/٧) رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٢/١١) ومسلم في صحيحه (٥٨١/٢) والترمذي (٣٨١/٦تحفة) وأحمد في مسنده (١٢٤/٣) من حديث شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى)) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

وتمتاز مرحلة صاحب الرسالة كونها مرحلة تحـــوّل وانطـــلاق لأكثر من فكرة ورؤية[1].. ولكنّ الشمس الساطعة منها هي شمس الدعوة الشرعية دعوة الإسلام المتنامية بدءاً بالبعثة وتماماً بانقطـــاع الوحي وموت الرسول صلى الله عليه وسلم.. وفيها يقول صلى الله عليه وسلم عن العلامات.. « **اعدد ستاً بـــين يـــدي الـــساعة... موتـــي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ مـــنكم كمقـــاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائـــة دينـــار فيظـــل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلاَّ دخلتـــه، ثم هدنـــة**

---

(١) برز مع فجر الدعوة مظاهر وأوليات من أمر القضاء والقدر المرتبط بعلامات الساعة ، منها:

- قوله صلى الله عليه وآله وسلم « **فُتِحَ اليومُ من رَدْمِ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ مِثْلُ هَذا**» وحلّق بين السبابة والوسطى .
- مدرسة الدجال والتحذير من ظواهرها الحاضرة والمستقبلة.
- مدرسة المنافقين.
- مدرسة مسيلمة الكذاب.
- مدرسة حرقوص بن زهير (المدرسة الحرقوصية) « **يَخرجُ من ضئضئ هذا** ...»

مظاهر الفتن الخاصة داخل الخيمة الإسلامية « **إني لأرى مواقع الفتن من بيوتكم كمواقع القطر** »..

تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمـــانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً »[1]..

فموته صلى الله عليه وسلم إحدى محطات التحول في المـــسيرة العالمية كما أنها إشارة أخرى إلى تمام ومنتهى بلوغ الدعوة الحنيفية درجة الكمـــال ، ﴿ **ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٣٤٠ فتح) حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبدالله بن العلاء بن زبر قال: سمعت بشر بن عبيدالله أنه سمع أبا إدريس، قال: سمعتُ عوف بن مالك، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك – وهو في قبة من أدم – فقال: أعدد ستاً بين يدي الساعة: « موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كمقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقي بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً ». وبهذا اللفظ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٣٧٥) وزاد قال الوليد : فذاكرنا هذا الحديث شيخاً من شيوخ المدينة في قوله ثم فتح المقدس، فقال الشيخ: أخبرني سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه كان يحدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: مكان فتح بيت المقدس عمران بيت المقدس. وأخرج أحمد في مسنده (٦/٢٥) هذا الحديث بنحو هذا اللفظ.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1] وسارت هذه الابتلاءات والتحولات مع الحق المحفوظ بحفظ الله بين ثلاثة نماذج:

الإفراط، والتفريط، والاعتدال..

وسَارَ معها دليلها لدى فقهاء التحوّل من مرقومات ومنطوقات الأصلين الشرعيين حيث كان فقهاء التحوّلات يبرزون لأُولي الحُكم والعلم مقتضيات العلامات الدالة على الانحراف في سُلوك الأفـــراد والفئات وما يجريه الله من حكم القضاء والقدر في منطلقات الأمة..

ولسنا في حاجة لتعيين محطات الباطل ومنطلقاته حيث يـــدرك الكثير اليوم ما قد سارت فيه أمة الإسلام من انحرافات والتـــواءات وقد أشرنا إلى أطراف منها في كتابنا « **التّليد والطّارف** »[2] وإنما نشير إلى ما نحن بصدده هنا من بلوغ الأمة إلى آخـــر مـــسارات الانحراف المؤدي إلى جُحْرِ الضَّب الموعود..

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) كتاب التّليد والطّارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف. مطبوع. للمؤلف ..

وإذا ما قرّبنا مسافة التحول التي مهّدت إلى السقوط المباشـــر في هذا المسرب الخطير، فإننا لابد أن نشير إلى ما عَبـــر عنه صلى الله عليه وسلم بمرحلة الغُثاء « الغثائية »[1] هذه المرحلة التي انتقل فيهـــا قرار الأمة إلى يد الكافر عبر سلسلة من التحـــولات والخـــداعات والتمويهات والتقلبات. وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم هـــذه المرحلة من أَلِفها إلى يائها بأربعة أو خمسة أقسام، وهي:

١- مرحلة المؤامرة والتخطيط للاستيلاء على تركـــة الرجـــل المريض، والمسماه في نصّ الحديث « **بفتنةِ الأحَلاس** ».

٢- مرحلة إسقاط قرار الخلافـــة وتقـــسيم العـــالمين العـــربي والإسلامي إلى مناطق نفوذ للدول الكبرى.. « **مرحلة السَّرَّاء** ».

٣- مرحلة إعادة نقض الحكم بالثورات والسياسات، وشمـــول سياسة « فَرّقْ تَسُدْ » وما يسمى (مراكز النفوذ) بين كتلتي الشرق والغرب..

---

(١) إشارة إلى الحديث: « يُوشك أن تَدَاعَى عليكم الأمَمُ كما تَداعَى الأكَلَةُ على قَصْعَتها، قالوا: أَمِن قِلَّةٍ نحن يا رسول الله، قال: لا أنتم يومئذٍ كثيرٌ ولكنَّكُم غثاءٌ كغُثاء السيل » رواه الطبراني في الكبير وأبو داود.

٤- مرحلة شمول الصراع الطبقي والاعتقادي داخل حظيرة الأمة الإسلامية من خلال الدفع السياسي والاقتصادي وإثارة النعرات الدينية والطائفية والقبلية « مرحلة الدهيماء »[١] أو « **فتنة الدهيماء** »[٢] (الصراع الطبقي والصراع الاعتقادي) التي مهدت لما سُمي فيما بعد (بمرحلة الصحوة).

٥- مرحلة الصحوة، واستثمار سياسة المراحل السابقة، وإنجاح مشاريع اليهود والنصارى في العالمين العربي والإسلامي، وهي ما

---

(١) هذه المراحل الثلاث التي أشار إليها المصنف جاءت في حديث واحد. أخرجه أبو داود (٥/٥،٦) وأحمد في المسند (١٣٣/٢) من طريق أبي المغيرة، حدثني عبدالله بن سالم، حدثني العلاء بن عقبة، عن عمير بن هانئ العنسي، سمعت عبدالله بن عمر يقول: كنا قعوداً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها حتى ذكر **فتنة الأحلاس**، فقال قائل يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس ؟ قال: « هي هَرَبٌ وحَرَبٌ، ثم **فتنة السراء** دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم انه مني وليس مني، إنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم **فتنة الدهيماء** لا تدع أحداً من هذه الأمة إلاّ لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت عادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين – فسطاط : إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط مغلق لا إيمان فيه –، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده » وصححه الحاكم (٤٦٧/٤) ووافقه الذهبي.

(٢) المراد بالدهيماء عموم الأمة من البداوة والقبائل والطبقات الاجتماعية المحكومة.

سماها النبي صلى الله عليه وسلم « **بالفتنة الرابعة البَكماء العَمياء الصَمَّاء التي يؤول أمر الأمَّة فيها إلى الكَافر** ».. وأول مساراتها ما يسمى في قاموس العصر (بالعولمة).. **والعولمة** هي: تطويع العالم لسياسية القطب الواحد والقرار العالمي الموحد (النظام الدولي).. وأساس منطلقاته:

١- الترسانة العسكرية النووية.. مع نزع سلاح الغير.

٢- الاقتصاد الرَّبوي.

٣- الأيدلوجية الإباحية الكافرة.. مع محاربة (الديانة والتدين).. (**الثقافة الثالثة**)[١]..

٤- الثورة المعلوماتية.

وبهذه الأسس تسقط السياسة المرحلية القائمة على (المسميات السياسية)الجمهوريات والملكيات والإمارات والسلطنات.. ليتحول العالم إلى شبه دولة عالمية تحكمها الآلة، وتتشابه فيها مصالح

---

(١) الثقافة الثالثة مصطلح برز جلياً مع بروز مفهوم الألفية الثانية، وبدايات القرن الواحد والعشرين، وهي (ثقافة العلم والتكنولوجيا) وهذا المسمى يشير إلى تغيير خطير في مفهوم الثقافة، وتعريف المثقف بدأ به الغربيون منذ ما يقارب الخمسين عاماً.. اهـ العربي/ العدد ٥٤٤، محرم ١٤٢٥هـ مارس ٢٠٠٤م

البشر على أساس نظري (لا ديني) ومن خلف هذا.. تكون القبضة الأولى والأخيرة (للمسيخ الدّجال)..

وهذا ما يرسمه (المهندسون العالميّون) ويخططون له ومن أجله على مدى عشرات بل مئات السنين؛ ولكن نحن في شِرعَتَنا الإسلاميّة العالميّة نعتقد أن هذا البُعد الفكري لن يتعدى قول الله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾[1].

و مع هذا الأمن والإيمان بالله في كونه.. فالحجة علينا نحن المسلمون قائمة حيث نزعنا إلى الخمول والجمود والتواكل.. حتى أصبحت هذه العلّة ظاهرة المرحلة بعمومها.. من قمة المجتمع إلى قاعدته الشعبية..

فالمثقفون المعاصرون يعتقدون -كما برمج لهم- أن العزلة والخمول إنما هي تهمة عالقة بالتصوّف والصوفية. ومن الصوفية من يعتقد أن التهمة عالقة بالسلفية والحزبية.

ولهذا فَهُم يرون أنفسهم في مأمن من ذلك، والحقيقة المرة أن العلّة شاملة كافة تركيبات المجتمع الغثائي من أَلِفه إلى يائه كما يقرر

---

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

ذلك من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم: « **أنتم يومئـــذٍ غُثاءٌ كغثاءِ السَيل**»[1] وهذا ما تفسره الأحاديث، وتبرزه الظروف العالمية المحيطة..

وفي خضم هذه العلل تبرز مفاهيم « **الوسطية والاعتدال** » على لسان القادة والعلماء والمفكرين، كما برزت قبلها مفاهيم الصحوة والثورة وتصبح العبارة (إحدى لُبَانَاتِ المراحل) الـــتي تَلُوكهَـــا الألسنة، وتحضّر لها المصانع تحضيراً يتناسب مع حركـــة العـــرض والطلب حتى ينتهي وقتها وتسقط ورقتها.. وهكذا دواليك.

إن (**الوسطية والاعتدال**) التي يُتحـــدث عنـــها في مرحلتنـــا المعاصرة.. آلية سياسية يُراد بها إعادة ترتيب الصراع الاجتمـــاعي داخل الأمة العربية والإسلامية بأسلوب يضمن ضَـــرب المـــسلمين ببعضهم البعض مع عدم المساس بمصالح المؤسسات المانحة (قـــرار العولمة) في شتـــى بقاع الأرض..

(١) سبق تخريجه .

وبهذا المفهوم تصبح (الوسطية والاعتدال) المتحدَّث عنها إعلامياً من وجهة نظر الإسلام إحدى معاول الهدم في جدار الأمة عبر تاريخها المنهوك..

أما إذا أردنا أن نعرف «**الوسطية الشرعية والاعتدال الشرعي**» من وجهة نظر الإسلام نفسه.. نجد أنفسنا أمام منهج عالمي وقانون سماوي يحمل مقومات العدل والرحمة والسلام في أنصع صورها الإنسانية، ومع كافة البشرية المتقاسمة مصالح الماء والهواء في هذه الحياة.

إن مرحلة الوسطية والاعتدال مرَّت بتعثرات خطيرة في تاريخنا الإسلامي والإعلامي ، فهي في ما بعد مرحلة الخلافة الراشدة اتخذت شكلاً من أشكال التفريط والإفراط المنبعث عن الانفعال الطبعي لا الشرعي في شأن القرار.. ثم في مراحل أخرى اتخذت شكل الإفراط في شأن العلاقات والولاءات في قضايا آل البيت والتصوف لدى البعض مع تفريط لدى آخرين في ذات العلاقات والولاءات حكماً وعلماً وبقيت في حد الاعتدال لدى فئات أخرى.

وكان التفريط والإفراط الأول قائم على تغليب الطبع على ثوابت الشرع فكان ما كان..

أما في مرحلة الغثاء فالإفراط والتفريط انتقل إلى مـــا يـــسمى بالتسييس، حيث صار « عدوّ الأمة » مهندساً لأبعاد المعرفة والثقافة وبناء الشعوب..

ولأجل أن نعرف (الوسطية والاعتدال) من حيث يجـــب أن تكون، فإننا نبسط هنا للقارئ الكريم مفهوم الوسطية والاعتـــدال، مع بسطنا لمفاهيم أخرى تُعيد بإذن الله للأمة توازنها الشرعي أمـــام تهوكات الإفك المدجج، وتسهم في طرح مـــراهم المعالجـــة (في أبـــهى حُللها الاجتماعية المشروعة بعيداً عن التسويق الـــرخيص ومُصادرة المعرفة العالمية الشرعية).

وأملنا الكبير أن نجد في قلوب وعقول أجيالنا المخدوعة موقعـــاً مهيئاً يقبل الأمانة ويحافظ عليها ويعمل على نـــشرها وإبرازهـــا.. حيث ثبت في الحديث الشريف: « ارتفاع الأمانة عن كثير من هذه الأمة في أخريات الزمان » ، ولا حَول ولا قَـــوة إلاّ بـــالله العَلـــي العَظيم، وحَسبُنَا الله ونِعَم الوكيل، نِعَم المَولَى ونِعَم النَصِير.

الوَسَطِيَّة الشَّرْعِيَّة وَالإعْتِدَال الوَاعِيْ وَالحَلقَة المُفرَغَة التي يَجِب الخُرُوج مِنْهَا

إن أول الشروط اللازمة لإنجاح مبدأ « الوسطية والاعتدال المشروع » العمل الدؤوب على تنقية الأوعية النفسية والقلبية والذهنية من مخلفات المراحل المسيّسة ذات العلاقة (بالفكر الجاهلي العالمي) أو ما يمكن أن يطلق عليه **مرحلة الجاهلية الثانية**[(١)].

و**الفكر الجاهلي العالمي**: ركام الأفكار الاستعمارية والاستهتارية والاستثمارية، التي طَوعت المنطقة العربية والإسلامية في قبول المشروع العالمي للاستعمار بُعيد سقوط قرار الخلافة الإسلامي في العالم.. (تركة الرجل المريض).

وليس كلّ الرّكام الاستعماري والاستهتاري والاستثماري سِلبي الفائدة.. وإنما السلبية في استخدامه رأس حربة ضدّ الإسلام وهو ما

---

(١) الجاهلية الثانية.. مصطلح يقابل المعنى المشار إليه في القرآن (بالجاهلية الأولى) في قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى** ﴾ فالجاهلية الأولى أذهبها الإسلام وأزال آثارها بالشريعة المطهرة وبتوحيد قرار المسلمين.. وأما الجاهلية الثانية فقد بدأ تنشيط عودها مع نزغ قرار الإسلام وامتلاك الكافر القرار العالمي في السلم والحرب، وذلك ما يعبر عنه بمرحلة الغثائية.. اهـ

نسميه « بتسييس القضايا »، وعندما نعزل بين العلم والحضارة، وبين سياسة المستثمرين لها نستطيع أن نجد أنفسنا مع حملة الحضارة العلمية على قواسم مشتركة غير مسيّسة، وهذا هو ما يُعرَف «**بالقواسم المشتركة بين الشعوب**» والشعوب في العالم كلّها تتطلع إلى السلام، وإلى الحياة المستقرة، وهذا هو مُراد الله في العالم يوم خلق الإنسان، وأورثه خلافة الأرض بتكليف رباني وتكريم رحماني؛ ولكن نَزْعَة التسييس للقضايا بدأت بما سماه القرآن «**وسواس الشيطان**»(١)، «**فتنة الشيطان**»(٢)، «**خطوات الشيطان**»(٣) وهذه هي مبتدأ تسييس الشر في العقل الإنساني.. مستفيداً من الضعف الأصلي في خلق العنصر البشري ﴿ **وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا**﴾(٤)،

---

(١) ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس:٤].

(٢) ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

(٣) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة : ١٦٨].

(٤) سورة النساء: ٢٨.

﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلاً ﴾[1]، وقد استطاع « الشيطان وأعوانه » على تكوين مجموعة العمل الإبليسي في العالم منذ بدء الخليقة.. وتطورت نظريات هذه المدرسة، وتفرعت في كل الشعوب والأجناس؛ بل وتطورت بتطور الإنسان ذاته وتطوير وسائله، ولم تأتِ مرحلة الفكر الجاهلي الاستعماري إلاّ على قمة التطورات العلميّة المسيّسة لمصلحة (عصبة العمل الشيطاني) في العالم ، وعصبة العمل الإبليسية.. تنهج في سيرها الشيطاني على تعميق (الإفراط والتفريط) في شتى الأمور.

ومن حيثما استطاع الشيطان وأعوانه تزيين (الإفراط) أو (التفريط) في سلوك الفرد أو الأسرة أو الجماعة أو الأمة أو المرحلة.. فقد كسب المعركة لصالحه، ولو داخل (الديانة والتدين)، ومن حيثما استطاع الإنسان انتهاج منهج الاعتدال والتوسط في سلوكه، أو سلوك غيره، وعمل الفرد والأسرة والجماعة والأمة على بسط ميزان الاعتدال والوسطية فقد خَسِرَ الشيطان المعركة ولو (داخل محيط الكفر والكافر)..

(١) سورة الكهف: ٥٤.

فالاعتدال والوسطية في معناها العام مَكسَبٌ عالَمي للأُممِ ضد سياسة الشيطَان ومدرستِه.. ولكنّها في مَعناها الإسلامي الخاص معالجة شرعية ناجحة لبناء الإنسان وفق مُراد الله في العالم. وهي المعبّر عنها في قوله تعالى: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾[1].

ومن هذا المنطلَق الواعي نَجِدُ أنفسنَا أمام استراتيجيّة واضحة المعالم تقشع سُحُب الضبابية الفكرية، وتبدد ركام الظلام الإعلامي المنتشر.

إنّ فهمنا (لمشروع الوسطية والاعتدال الواعي) يشبه المتدرع باللباس الواقي ضد المواد الكيماوية المنتشرة في المحيط الموبوء، ومحيطنُا الموبوء يُقولِب المفاهيم وفق الحالة إذا لم يكن الحامل لها يمتلك اللباس المعرفي الواقي، وهذا ما نحن بصدده..

فالعالم كلّه يحتاج إلى الوسطية والاعتدال كمبدأ فطري.. كما تحتاج الأمة الإسلامية إلى (الوسَطيّة والاعتدَال) كمنهَج شرعيّ يُوجّه الفِطرة ويسدّدها نحو مُراد الله.. وهذه الحاجة تقتضي الخروج

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

الشجاع عن مفهوم الأمة المتداول حول الوسطية والاعتـــدال إلى مفهوم أكثر شمولاً وعالمية وأنفع تشخيصاً ومعالجة..

فالعلّة المنتشرة في الواقع الإسلامي المذهبي واللامذهبي -مـــثلاً- ترجيح كل ذي مذهب مذهبه على مذاهب غيره، أو ترجيح الرفض التام للمذهبية بكل نماذجها وصورها نحو منطلق اجتهادي جديـــد.. وكل هذا يدلُّ على الوقوع في المحذور من طرفي الإفراط والتفـــريط، والسلامة منهما أن يتقبل الجميع ما يختلف عليه كمبدأ أو مـــذهب خاص له محاذيره وله إيجابياته يصحّ لمعتنقه العمل له وفـــق اجتـــهاد مذهبه وتقرير علمائه دون الردّ لعمل الغير أو التعريض به أو النقض له من كافة الوجوه.. أما فيما يتعلق بالمواقف فهناك خطوط حمـــراء يجب التوقف عندها إلزاماً ليتحقق مبدأ الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي، والمقصود **بالمواقف**: حكم البعض على البعض الآخر بكفـــر أو تشريك أو تبديع أو لعن... أو غير ذلك مما يحصل به الافتيـــات والوقوع في مذمة الإفراط أو التفريط المشين. وقد عانت الأمة خلال مرحلة الغثاء -ولا زالت- تعاني من تسويق هـــذه الظـــاهرة الـــتي جنحت بالكثير إلى الخروج عن دائرة التوسط والاعتدال المشروع..

ولأجل أن ندخل إلى مرحلة (الوسَطيّة والاعتدَال) المروّج لهـــا

بثبات ومسؤولية.. يجب أن نأخذ منهجنا الإسلامي الشرعي ليحقق العدل المرجو والتوازن المطلوب.. وهذه مسؤولية كبرى لا تقف عند مستوى العرض الكتابي؛ بل تتعداه إلى شؤون عديدة في معركة الحياة العامة والخاصة. وأهم ما يجب التعرف عليه في هذا المشروع الواعي، ما يلي :

١- معرفة مفهوم تأصيل البدائل، والعمل بها من غير إفراط ولا تفريط.

٢- معرفة مفهوم تحديث الوسائل، والعمل من خلاله من غير إفراط ولا تفريط.

ولنستفيد المعنى المتحصل من هاتين العمليتين نبسط هنا بعض الإيضاح الهام والواجب.

تَـأصِـيـْلُ الـبـَدَائـِـل

التأصيل للشيء : التقعيد له.. إعادته إلى أصله.

والبدائل: جمع بديل، وهو الشيء الذي يحلّ بدلاً عن شي آخر.

ومن شروط البدائل الناجحة: خدمة الهدف الأسمى دون إحداث تغيير في أصول الفكرة الأولى أو الأساسية.. وقد خَدَمَ القرآن هذا المفهوم خدمة جيّدة عندما بيّن عظمة البدائل، وإنجاحها في حمل فكرة المُبدَل بتحديث الوسيلة، وتأصيل المفهوم، وربطه بالهدف السامي، قال تعالى: ﴿**مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ**﴾[1]. فالدعوة واحدة والاختلاف يكمن في الوسائل مع تأصيل مشروعية البديل..

والإشكال المحيط بنا أن (عُصبة العمل الشيطاني)أحكموا سياسية البدائل السلبيّة، وزينوا للعقل الإنساني قضية إشباع الغريزة بعد حجب العقل والعاطفة عن سموّ الهدف الشرعي، فصرفوا نظر الأجيال عن سياسة التنزيل إلى تسيس الرغبات والدوافع وإلهاب الأحاسيس بالقال والقيل والتدجيل والتطبيل، مع أن إشباع الغريزة

---

(١) سورة فصلت: ٤٣.

أمر له شروطه في الديانات؛ ولكن بإدخال تربوي وتعليمي ودعوي محدد وموجّه.

والأصل في (المطلب الرباني) للعباد انطلاق كلّ شي في حالة اختيار الوسائل والبدائل من وحي السماء، ومنهج الأنبياء وما قيسَ عليها، واقتبس من أصولهما.. أمّا (أصول المطلب الشيطاني) مخالفة المنهج السماوي، وإبطال التشريع الإيماني، والقدح في كلّ تـــراث قديم، وإرضاخه للعقل الإنساني ورغباته .

وقد مرّ بالعالمين العربي والإسلامي مراحل بالغة الخطورة عملت على مسخ هذا المبدأ، وأحلت مكانه بـــدائل شـــيطانية الأصـــالة والمعاصرة، وفي هذا يقول الحقّ سبحانه وتعـــالى ﴿**وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلاً**﴾[1].

---

(١) سورة الكهف: ٥٠.

وحكى القرآن في مسألة البدائل المنحرفة التي لا ترتبط بالأصل الشرعي مطلب بني إسرئيل في مرحلة التيه ﴿ **أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ** ﴾(١) فاختيار اليهود لأنفسهم طعاماً وشراباً يرغبونه ويوفي بحاجة غرائزهم وهواياهم سمّاه القرآن (مطلب أدنى) و (بديل سيء)، وأطلق على مراده واختياره الذي حققه لهم (موسى) ﴿ **بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ** ﴾. ولهذا فقد أوكلهم الله إلى اختيارهم الغريزي، فقال: ﴿ **ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ** ﴾(٢) ولأن أمة بني إسرائيل قد فشلت تماماً في تحديث الوسائل كما فشلت في تأصيل البدائل، فقد أداها التنزيل إدانة صريحة ومثلهم أمة النصارى.. وفي هذا المضمار يشير المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن أمة القرآن تعاني هي أيضاً في مراحلها الغثائية من ذات الداء، والعلّة التي أصابت بني إسرائيل: « **لتتبعنّ سَنَنَ مَن كَان قَبلَكُم شِبراً بشِبرٍ**

(١) سورة البقرة: ٦١.

(٢) سورة البقرة: ٦١.

وذراعاً بذراعٍ حتى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخلتُمُوه »[1] ويكون هذا بفقد مقاييس العلم بالشريعة، وبدء دخول الأمة إلى فقدان القرار في موقعي الحُكم والعِلم.. وفقد مقاييس الشريعة تكون بتسيس المنهج التعليمي، وفقدان المنهج التربوي والدعوي. أما فقدان قراري الحكم والعلم فيكون بشمول النقض السياسي المهيمن على المرحلة.. قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم** ﴾[2].

وقد مضت خارطة الطريقة السلبية بدءاً بمرحلة الاستعمار في مشروع إفساد (الوسائل والبدائل) مرحلة بعد أخرى في كافة المستويات التي عَبَّرَ عنها من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم، بقوله: « **لتُنقَضَنّ عُرَى الإسلامِ عُرْوَةً عُرْوَة كُلَّما نُقضَتْ عُرْوَةٌ تَمَسَّكَ النّاسُ بالتي تَليها** - لانعدام البدائل- **أَوَّلُهُنّ نَقْضاً الحكمُ وأخِرُهُنَّ الصَّلاةُ، ورُبَّ مُصَلٍّ لا أمَانَةَ لَهُ** »[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة محمد: ٣٨.

(٣) وقد مرت الأمة منذ نقض قرار الحكم بهذا الحشد من النواقض داخل وخارج الخيمة الإسلامية في كثير من مستويات حياتها الدينية والدنيوية، حتى بلغت إلى ما عَبّرَ عنه الرسول

والمعتقد أننا الآن في مرحلتنا هذه قد بلغنا إلى رفض الوسائل الشرعية وإدانة تأصيل البدائل.. حيث حَلّ بالأمّة ما قد أخبر عنه سيد الورى في حديث حذيفة بن اليمان عن النبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: « **والّذي نَفسِي بِيده لتَأمرنَّ بالمعروفِ ولتنهونَّ عن المنكرِ أو ليوشكنّ الله أن يبعثَ عليكم عِقاباً منه ثُمّ تَدعُون فلا يُستَجَابُ لكم** »[1]. « **كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً** » الحديث ..

صلى الله عليه وآله وسلم بنقض الصَّلاة، وقد تهيّأت لهذا النقض في مرحلة الغثاء مؤسسات وعلماء وأقلام وألسنة، وانتشر داء النقض إلى كافة العالم العربي والإسلامي من خلال (الوسائل وسوء البدائل) والحديث أخرجه أحمد في المسند (٢٥١/٥) ومن طريقه الحاكم في المستدرك (٩٢/٤) من حديث أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: « لتنقضنَّ عُرى الإسلام عُروةً عُروة فكلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهنّ الصَّلاة » والحديث صححه الحاكم.

قال خالد: أما قوله : « ورُبَّ مصلٍّ لا أمانة له » فلم يأتِ في شيء من طرق الحديث، نعم هو بمعنى حديث آخر أخرجه الطبراني في الصغير (١٣٨/١) ومن طريقه أبي نعيم في الحلية (١٧٤/٢) من حديث عمر بن الخطاب مرفوعاً « أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما تبقى الصلاة، ورب مصلٍّ لا خير فيه » وسنده ضعيف، ولكن له شواهد تقويه .

(١) رواه الترمذي (٣١٧/٣) وأحمد في المسند (٣٨٨/٥) والبيهقي في السنن الكبرى (١٥٩/١٠) من طرق عن عمرو بن أبي عمرو، عن عبدالله بن عبدالرحمن الأشهلي، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف

والمتأمل من أهل النظر والإدراك حال الانحدار في كافة وسـائل الحياة، وما ترتب على ترك الآداب والأخلاق من بدائل مدمّرة يعي ملحظ صاحب الشريعة في مدى انزعاجه وخوفه من شر البـدائل التي تُصيبُ الأمّة وباختيارها في بعض الأحوال، وفي أحوال أخرى بفعل الأصابع الخفية سياسة المدرسة الأنوية الإبليـسيّة في العـالم، والمقصود بالاختيار: هو الاستحسانات الناتجة عن ضعف المواقـف الشرعية، وحيناً التزيين النفسي والتسويلات الباطنة ذات القـوى الفاعلة في توجيه العقل والقلب إلى الانحراف مع التأثير الـشيطاني الجاري من ابن آدم مجرى الدم.

ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم »
قال الترمذي: هذا حديث حسن، وللحديث شواهد متعددة من حديث أبي هريرة، وعمر، وابن عمر، وعائشة، وغيرهم فالحديث بمجموعها صحيح فضلاً عن كونه حسناً.

تَحْدِيثُ الوَسَائِل

التحديث يعني: التجديد.

والوسائل: هي الآليات التي يتوصل بها إلى الغايات والمقاصد.

ولما كان التجديد سنة الله في خلقه[1] فقد ميّز الحقّ سبحانه مصنوعاته بالثبات والاستغناء عن التجديد، فالإنسان والحيوان والجمادات والنباتات، وسنن الطبيعة: ماء وهواء وغذاء متميزة بالثبات، ووحدة النوعية التي لا تقبل الحاجة إلى التجديد؛ ولكنّها تقبل بعض التحسين والتكثير والتعديل.

بينما كلّ ما يصنعه الإنسان يحتاج بالضرورة إلى تجديد النموذج والتصميم، وربما إلى تعديل أصول الفكرة كلها لتبرز في قالب جديد مقبول.

ولما بعث الله الرسل بالرسالات عَلِم أحوال العباد، وما يطرأ على مراحل الوجود الإنساني من التقلب والتطور، وآثار الاحتكاك بالوجه الآخر. فجعل مسألة التجديد للرؤى والأفكار واستنباط

(١) أي في إبداء ضعف المخلوق الذي لا يتسم بالكمال.

المفاهيم ممكنة المآتي على شروط تتسم بالثبات، فعدّد الأنبياء للأمم، وعدّد وسائل تبليغهم، بل وعدّد حتى معجزاتهم.

وجعل الرسالة ومعجزتها على يد نبي كلّ زمان مما يتناسب مع عقليات أهل ذلك الزمان، وحدود وعيهم المعرفي؛ لتقوم الحجة عليهم.. وفي ذلك يقول الحقّ سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[1] فالكتب السماوية وإن كانت حاوية في مجموعها على معنى واحد فيما هو مطلوب؛ لكنّها عددت الأسلوب، ونوعت الوسائل في إقناع العقل البشري، وإقامة الحجة عليه، وإثارة كوامن فطرته[2].

إذن فالتحديث للوسائل شأن له أثر في قبول الفكرة، ورسوخ أهدافها، ولقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دولة الإسلام بوضع مشروع التحديث للوسائل.. ومن أهمها:

١- بناء المؤسسة الأولى المسجد، ومشاركة المسلمين في البناء.

---

(١) سورة إبراهيم: ٤.

(٢) بل إننا نجد كل جديد يطرأ على عالم البشرية من الاكتشاف والاختراع قد سبق القرآن تناوله والتعبير عنه. إما بصورة مجملة أو بصورة مفصلة.. مما يؤكد أن التجديد الذي نعرفه في حياتنا البشرية ثانوي المعنى بالنسبة لمستجدات العلم الذي سبق به القران ذاته.

٢- جمع الأوس والخـــزرج في وحـــدة ذات مـــسمى جديـــد «الأنصار».

٣- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

ويبلغ التحديث في الوسائل مبلغه حتى في (الأسلوب التعبيري) للمرحلة ، فالقرآن أحدث أسلوب تعبيري عرفته العرب يحمل جملة شروط الإعجاز، ولم يكن لها عهد بمثله في صياغة مع أنه يحمل لغة العرب ذاها؛ بل وفي القرآن اقتباس من اللغات المعربة مما يـــشير إلى الاستفادة المناسبة من غير اللغة الأم عند الاستدلال..

وجددت لغة القرآن العربية مفاهيم ومسميات لم يكن للعرب بها سابق معرفة في القاموس اللغوي.. كلفظتي (منافق، وفاسق) فهما من الكلمات المستجدة في القاموس العربي القرآني من حيث الدلالـــة على المعنى.. وفي هذا كمال التأكيد على أهمية التحديث للوسائل..

بل يجعل القرآن الكريم قضية التجديد والتحـــديث في وســـائل الحرب والمعركة ضرورة هامة في الجهاد الـــشرعي في ســـبيل الله.. ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1] ومدلول القوة لا ينحصر عند

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

العدد والعدّة؛ بل يتعدد إلى أسباب النصر في المعارك.. ويـــدخل في معانيه التعبئة العامة، والتحريض، ودراســة الأحــوال الجغرافيــة والطبيعية، وعلم الاستطلاع، وغيرها من العلوم التي تنطوي تحــت مفهوم القوة وإقامة أسبابها، ولهذا جعلها في مقدمة الآية ثم عــرّج على قوة المركب يقول: ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾[1].. ويتناســب مدلول التحديث مع عظمة الأسباب التـــي أوجدها المـــسبب في الحياة.. اللهمّ أن منطلقها يجب أن ينحى ذات المنحى السابق وهو الاعتدال والتوسط حتى لا يجنح إلى أحد النقيضين.

ومن هذا المفهوم المستجد نعتقد أن كافة الموروثات الإسلامية بما فيها الذكريات والمناسبات يجب أن ترضخ لهذا المبدأ الهام حتى لا يصيبها ما أصاب المرحلة من داء التفسير الأنوي المعبّر عن الطعــن والهَمز واللمز في التاريخ ورجاله..

لقد بَرَزَ على ساحة الحياة المعاصرة من آمن بفكرة التحــديث للوسائل؛ ولكن على منحى التفريط. فاستعملها في احتضان كــل جديد من المعرفة والصناعة والآلة حتى تغرّب الجيل خلف الجديــد

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

رافضاً للقديم وموروثاتِه؛ بل ودامغاً لها ومهمّشاً لـــدورها ومحرفـــاً لمفهومها التاريخي الشرعي. وبلغ التفريط غايته عندما احتضنت هذه المدرسة مفهوم التحديث حتى فيما حرم الله.. كاستخدام الوسائل الإعلامية المنحلّة أو المساهمة فيها أو في تشييد أروقة الرِّبا والمصارف الربوية الحرام. ويقابلها في منحى الإفراط من يأبى الاستفادة مـــن وسائل الحداثة معتبراً إياها « مظهراً للكفر والانحلال » دون تمييز ولا تمحيص.. أو أخذ من وجهة النظر القاصرة يُفسر مخترعات الحضارة كاكتشاف القمر، وعلوم الفضاء الكوني، مجـــرد كذبـــة وصـــور يعرضها الكفار على عقول الناس للكسب الإعلامي والسياسي.

إن هذه المنظورات الغريبة لا علاقة لها بالديانة الشرعية كعلـــم ومعرفة.. وإنما هي تفسر رؤية الفرد ذاته ومفاهيمه الخاصة به حيثما كان من طرفي الإفراط والتفريط المذموم، والسلامة في الاعتـــدال والأخذ بمبدأ الوسطية الشرعية..

وقد برر الفهم جليّـــاً في قوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليـــه وآله وسلم: ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾[(١)] إنه بدءٌ لعهدٍ جديد من

---

(١) سورة الضحى: ١١.

تحديث النعم وتجديد أسبابها.. فالنعم كلّها من الربِّ سُبحانه، وقد أمرنا أن نقرأ باسمه فتحديث القراءة والشرح والاستدلال في كافة الأمور الحياتية باعتبارها نعماً إلهية أمرٌ يُحَدّد شرف النِعم، ويحدّث أثرها، ويفعّل في عقول الآدميين بما لا تُفعّله الوسائل التقليدية الماضية، ومثله التحديث في وسائل المعرفة الدينية، يحرك الشرائح لعديد من أجيال المجتمعات لخدمة الدين ذاته لتُفَاعِل الوسيلة، وأثرها في استقطاب العقل الجامد والذهن المتحيّر، أو الفرد القلق من سلسلة الماضين، والخائف من مجرد القول بشبهتها أو خطئها..

إنّ مَفهومَ تَحديث الوسائل يَحتاجُ إلى زَيادة بَحث واعتناء ليَدفع بالواقع المتجمّد إلى حركة فاعلة وتموّج إيجابي يسمح للإسلام أن يتخذ موقعه في معالجة شؤون الدين والدنيا.. بديلاً عن السفسطائيات والتعقيدات والإشكالات المحيطة بالعقول والقلوب.. هذه التعقيدات التي غذتها عقليّات المراحل بمزيد من الشكّ والريب، وسوء التفسير، وفساد التعليل والتبرير.. مما جَنحَ إلى التطرف والاندفاع في تحديد المصير.. وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

مبدأ تَأصيل البَدائِل وتَحديث الوسَائِل وأهَميّته المعَاصِرَة

مما لوحظ بعد الاستقراء الواعي لكافة تحولات المراحل، وما نتج في ثنايا تحوصلاتها من حروب وفتن وانقسامات.. تأكد بالدليل أن وراء الأحداث عقولاً تُبدع استخدام الوسائل، وتتفانى في صنع جديد البدائل، ولربّما كانت بعض الوسائل المعروضة على العقل البشري من الفتنة بمكان حتى تأخذ باللبّ، وتدفع المرء إلى خوض معركة ما بدون شعور واعٍ، ومن هذه الوسائل المعبّر عنها بالفتن في أحاديث من لا ينطق عن الهوى ما ينطوي تحت مرسوم القضاء والقدر، ولا يسع المرء أمامها إلاّ التسليم والدعاء بالحفظ من الله تعالى وحسن التسديد.

وقد يأخذ بنا الاستطراد والمتابعة لهذا الأمر خارج موضوعنا المقصود، ولهذا فإن مقصودنا الأساس من هذا الأمر أن نلفت النظر الجاد من معاصرينا إلى أهمية التحديث للوسائل وضرورة تأصيل البدائل.. كرؤية واعية بديلة عن العشوائية الشيطانية والأطروحات الانفعالية النفسانية التي حفلت بها مجتمعات المسلمين في المرحلة الغثائية..

ولنسهم في هذا المشروع بإدراك ووعي مقرون بالافتقار إلى الله

أن يوفقنا للحقّ وخدمة مسائله لنضع ما ييسره الله لنـــا في دائـــرة الحركة المعرفية من فُهوم استفدناها خلال نزولنا المباشر إلى محـــيط نشر الدعوة إلى الله، ومعايشة الحالة الراهنة العاكسة بحـــق مظهـــر الغثائية في كل مستويات الحياة، فلعلّ لنـــا ولأهـــل عـــصرنا في مستجدات الرؤى ما يمثل بديلاً شرعياً يجمع الأمة علـــى قاســـم مشترك، ويقيم الحجة الناصعة على مدارس التعـــصّب والأنانيـــة، مدارس الدوائر المغلقة والنظرات الضيقة حاملة فـــيروس الـــوهن.. الذي عَبَّر عنه من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم.

الـقُدْوةُ الحَـسَنَـة

من مفاهيم التأصيل المستجد للبدائل السليمة في الواقع المعاصر مسألة القدوة الحسنة.. وعلاماتها..

فالأصل في كل مناهج العمل الدعوي والشرعي، هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وحولها تدندن الفئات والجماعات وجلّ الحكومات؛ بل وبها ومنها تستمد الحجج والبراهين القاطعات حول مسائل الخلاف أو الاختلاف.. ولكنّا عند التمحيص الحق لهذه الأقوال.. نجد الكتاب والسنة في وضع المظلوم من الظالم.. حيث تفتقر المعادلة إلى نجاح العملية الشرعية إلى ثالثة الأثافي(١) كما يقولون:

فالكتاب.. مصدر الاحتكام الأول.

والسنة.. مصدر الاحتكام الثاني.

وتختلف بعد هذا مصادر الاحتكام وفق الثوابت المذهبية.

---

(١) الأثافي، هي: (ما ينصب من الحجارة لحمل آنية الطبخ وأثقال النار تحتها). فالحجرة والحجرتان أو ما تسمى باللهجة العامية (مراكد جمع مركد) لا يمكن أن تحمل الوعاء أو الطست إن لم تكن لها ثالثة تحمل الشيء المطروح عليها..

وإذا نحن سلّمنا لأهل هذا المدلول في بعض الأمور فإنا نعتقد أن الانحراف يفصح عن موقعه ومكانه داخل أروقة الاستدلال ذاتها لانعدام المعادل الثالث وهو « الأخلاق » فالأخلاق أساس ثالث للعملية الشرعية كلها وعليها مدار الإقتداء بالذات النبوية الحاملة سرّ الوراثة، ومظهر القدوة الحسنة.. وقد أيّدَ الله هذه الثوابت في كتابه العزيز بقوله عزّ من قائل: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ** ﴾[1] فالذات النبوية في (مواقفها الأدبية) لدى تطبيق الكتاب والسنة شرطٌ لازمٌ في الإقتداء لكل حامل سرّ الوراثة.. وبها تكتمل حلقة الإفادة، ويبرز سر القبول من الناطق بالكتاب والسنة..

وعلى ممر التاريخ الإسلامي يجد المسلم المتأمل أن المسيرة الثلاثية للثوابت الشرعية كانت مرافقة لبعضها البعض في غالب أحوال القرار السليم عندما يكون بيد أهله. أما عند انتزاع القرار من أهله فيصبح الكتاب والسنة حجج وبراهين مطوّعة بسوء أخلاق حامليها.. ولن تحتاج الأمة إلى إيراد الصور والنماذج المعبرة عن

---

(١) سورة الأنعام: ٨٩.

هذه الحالة، فالتاريخ القريب والبعيد قد أبرزها على سطح الحركة والتأثير فكان منها العجب العُجاب..

ولهذا فإننا نؤكد أن فشل الأمة الإسلامية في مرحلتنا المعاصرة ليست عائداً إلى فشل (مادة الإسلام العلمية) وإنما يعود إلى جنوح المسلمين عن (مبدأ الإسلام الحق) إلى طرفي الإفراط والتفريط إستتباعاً واستحساناً لناعقي الأبواق الشيطانية.. كما أن نجاح (المدرسة الأنوية) وانتشارها في أرجاء المعمورة ليس عائد لامتلاكها شروط النجاح والانتشار، وإنما هو تراكم السلبيات المفتعلة والموجهة ونسيج الأحابيل، والحيل التي عمدت عصبة العمل الإبليسية امتلاك مواقع التأثير منها على الإنسانية، حتى « **وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلهِ** » ..

عـالـميّة الـقرآن والسُّنـة

ارتفع مستوى التحديّ بين الرؤى والأفكـــار والتـــنظيرات إلى مستوى بلغ في مرحلتنا المعاصرة قمة الحيرة والغرابة.

حيث انطلقت غالب العقول المعاصرة من سياسة الأمر الواقع وشكلت جلّ أحكامها ومواقفها المصيرية عن الحق والباطل والجدارة والخسارة والنجاح والفشل من نتائج المعارك المعرفية على مسرح الحياة.. والمهزوم من كل وجه من سقط في معركة الحركة الهلامية والإعلامية.. وضعف بوعي أو بغير وعي عن ملاحقة ركب الضجيج والصخب والصوت والصورة.. فالمنسحب والمتريّث مهزوماً في القاموس المتداول.. والظاهر والمتحرك والبارز في لوحة الحركة والفاعلية منتصر وجدير بتبوء مركز القيادة من عمليات العرض والطلب.. في سوق النخاسة المحلي والعالمي..

وكان لابد لأمثالنا نحن معاشر المـــسلمين في أوطاننـــا الممزقـــة ومفاهيمنا المتفرقة أن نتبوأ في الوجود الإنساني مكاناً ولو على مدى المرحلة المتفائلة.. والوجود الإنساني يعنـــي في لغة الحيـــاة: موقـــع القرار. وموقع القرار بالنسبة لنا حملة الديانة والتدين لم يعـــد نقيـــاً صافياً كما كان على عهد وحدة الأرض الإسلامية بعمومها، وريادة

الفكر، وسياسة الدولة الواحدة.. لقد صار لنا في خريطة الواقع المعاش أكثر من ٢٣ خريطة على مساحة الورق المباع.. وصار لنا أكثر من ألف حامل قرار موجه من خارج الرقعة المحلية، وصارت لنا مسميات تحمل رمز التناقضات من أعلى مستويات الحكم حتى أدنى مستويات المعرفة والعلم.. كما صارت لكل من بؤر حركتنا الفاعلة داخل خريطة الزمان راية وعَلَم ونشيد وطني ورمز وأجهزة إعلام.. وصار لكلّ جزء من هذه الشارات دوائر وشعائر ومشاعر، ومن ثم لابد أن يكون هناك تجزء في الديانة والتدين.. وفق حاجة الحضارة الجديدة.. وتجاوز لما لا يناسب التحوصل الموجّه وترك معرفي لمرقومات الفقه التقليدي من مشهور وظاهر وأظهر وأوجه.. فلغة المعرفة دائماً تتغير بتغير أوعيتها، وبمجرد تغير الأوعية تتغير مواد الأوعية أيضاً.. والرابح من كل وجه في هذه المعادلة من كيّف نفسه ومعلوماته وطموحه وفق هذا التشكيل الجديد..

ورحلتنا نحن أمة « القرآن.. والسنة » مع هذا الانسلاخ المتتابع كان مُبتدأً من سقوط دولة القرار.. والذين رتبوا سقوط القرار مع سقوط هيبة الدولة هم الذين تولوا فيما بعد تجهيز الهزائم، وتربية السوائم وإعادة تشكيل المعلم والمتعلم والعالم والمتعالم..

وكلما نشأ جيل في بؤرة من بؤر التهجين عاب علــى نفــسه ومجتمعه سوء الحالة، وضعف الإحالة، وعفانة العمالة؛ ولكــنّ لا يدري كيف يعمل، ومن أين يبدأ؟ فكان لابد من التعبير عن الرأي، ورفع الصوت، وإدانة العدو، والتغنــي بالأمجاد.. ويعود أحدنا من هذا الحماس المتقد مكدوداً إلى فراشه معتقداً أنــه قــد أدّى دوره المشروع، وعبّر عما يجول في خاطره المفجوع..

وفي الحظيرة من يدرك هذا الانفعال ويرعاه ويوجهه إلى حيــث يجب أن توجه انفعالات الشعوب.. فتعبر عن رأيها دون أن تمــس شغاف المشكلة، وتطالب بالتغيير والإصلاح دون أن يصل المطلب إلى إفساد سياسة الحركة المتأصلة.. وعدنا مرات ومرات في نطاق الدوائر المفرغة والإطارات المتحوصلة..

إذن فنحن وهذه حالتنا فلا أمل في الخلاص.. والحكم بــالموت صبراً في عنابر الاحتواء الخارجي صار عنه لا مناص.. هكذا أو ربما هكذا يعتقد الكثيرون..

قلت: والله اعلم.. إن مسألة الخلاص بمعناه الدقيق في قــاموس الديانة والتدين موضوع تأجيله خير من تعجيله.. وأما المــساهمة في صنع قرار الخلاص فهذا أمر ملح للغاية وضروري جداًّ، كما يجب

على كل مسلم أن يسهم في صنعه وتجهيز تركيباته المستقبليّة، والمستقبل غيب وللك الساعة التي أنت فيها.. وانشغال أحدنا الساعة وفق مراد الله عين الصواب المؤدي إلى نصرة أمر الله، وشمول العدل المأمول بإذن الله.. ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾[1].

وأول شروط العمل السديد في صنع قرار الخلاص ارتفاع مستوى الثقة بموروثات الشريعة ومرقوماتها؛ لأنهما أي هذين الموروثين (الكتاب والسنة).. هما مرجعية التوثيق التاريخي المؤصل لثوابت الديانة والتدين في العالم؛ بل هي الأساس والمصدر لإدانة سماسرة التجارة بالأديان.. والإنسان.. وبمقدار احتضانهما -أي الكتاب والسنة- مجردين عن الحذف والإضافة المرحلية نكون قد ضَمِنّا سلامة المنطلق الفاعل في طريق الخلاص.

ثم يبدأ فك الرمز التعبيري والبعد التصوري لمراد الله، ومراد رسوله داخل هذه النصوص المقدسة، فما كان لتاريخ مضى وتشريع مؤصل.. فلا يسعنا إلاّ الاتباع والانتفاع.. وما كان

---

(١) سورة الروم: ٤-٥.

لمستجدات الحياة، وجديد حركة الوجود في كل اتجـــاه، فيجـــب الكشف عن كنهه، وإطالة النظر في فقهه ومراداته.. ففيه نبع الحياة الذي لا ينضب، وبلسم الجراح الذي لا بديل عنه ولا عوض..

وأهم ما ينبغي معالجته وإشاعته والاعتناء التّام به مسألة العالمية.. فالمرحلة لا تتسع إلاّ لهذا المنطلق.. ومن لم يرتقي بالديانة والتـــدين إلى مستواها العالمي (لغة القرآن والـــسنة) ســـقط في حـــضيض الهوان.. وأسهم في تحقيق الصراع والنـــزاع المفـــضي إلى ســـيادة العدوان والبهتان إلى ما لا نهاية..

وعالمية الديانة نابعة من عالمية (أصولها) وأصولها ثابتة الأســـاس محفوظ بحفظ الله ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١)، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (٢)..

فالعالمية هنا أكيدة المنطلق ولا غبار عليهـــا.. ولغـــة الأصـــلين الكتاب والسنة، هي اللغة الجامعة الحاوية أصول الانطلاقة المعرفيـــة

---

(١) سورة فصلت: ٤٢.

(٢) سورة الحجر : ٩.

إلى نهاية التاريخ.. ديناً ودولة.. ثقافة وتربية وتعليماً واقتصاداً وسياسة.. وتوثيقاً وأصالة..

وإشكالنا أمامها أننا نقرؤها بلغة الاستعمار، ولغة الاستهتار، ولغة الاستثمار.. لا بلغة الاستمرار..

وقد مرت هذه المراحل على عالمنا العربي والإسلامي حاملة أصول أفكار وسياسات ومعلومات وأهداف ومقاصد وغايات تغلغلت بفعل مالك القرار إلى عمق دماء الشعوب ومائها وهوائها، فأحدثت خللاً في الوعي والاستقبال، وضعفاً في القراءة والاستنتاج، وإحباطاً في المواقف والمدركات.. واجتثاثاً للهمم والعزائم، وجموداً في القرائح والاستعدادات، ومات الإنسان المسلم داخل أروقة الثقافة والمعرفة والتربية والتعليم.. ليعيش ولكن إنساناً آخر وبثوابت أخرى يمكن لهذه الثوابت أن نسميها عربية قومية، أو حضارية استعمارية أو بوتقة مذهبية إقليمية، أو غير ذلك.. لكنها ليست إسلامية بَحتة..

ولهذا فإن الإسلامية العالمية لن تجد مكاناً في هذه الثقافات الجزئية.. إلاّ بإعادة ترتيب، وإثارة إحساس، وإجراء عمليات تربوية ودعوية عديدة.. حتى يتهيّأ العقل والقلب من جديد لفهم مدلول

« عالمية الإسلام » وعالمية « الكتاب والسنة »..

إن ضيق الأفق الذي صنعته عقليات الخبراء الأجانب في « جيل القوميات » قد حوّل الكتاب والسنة من عالميته الكبرى إلى سلاح قومي.. وسلاح فئوي.. وسلاح سياسي، وسلاح حزبي يستفرغ به الفرد في هذه الكتل حقده وكيده وتعصبه المقيت ضد أخيه المسلم والمؤمن.. وصار من الوعي في هذه الكتل بمكان أن تفوّج مطابع الإدارات التعليمية أطنان الكتب والمؤلفات ومناهج التعليم للبنين والبنات. حاملة وحامية فكر التشريك والتبديع ومبرّرة سياسة التطبيع والتطويع، مستدلة بكتاب الله وسنة رسوله.. وهذا عين السقوط في تجارة المبادئ.. وهذه الحالة برزت في عالمنا العربي والإسلامي بُعيد سقوط قرار دولة الخلافة.. ومع بدء تطبيع الواقع الإسلامي والعربي لسياسة الاستعمار.

وهكذا ينزّل القرآن من عالميته في إدارة شُؤون الإنسَانيّة إلى سياسة الفئة والحزب والجَماعة.. وقد يَصلُ أحياناً لما دُون ذلك.

إن الاستنباط من كتاب الله تعالى أمرٌ مشروع، وهذا شأنُ العُلماءِ الأثبات.. أمثال رجال المذاهب. وباستنباطهم عَرفت الأمة مدلولات القرآن والسنة، وأصّلت المذاهب، وفرعت المسائل،

وتوفّرت عبر تاريخ الاجتهاد عشرات بل مئات الكتب العلمية في كل فن وعلم.. ولكن ليس هذا محور حديثنا وتناولنا.. وإنما نحن بصدد ما غيّرته سياسة الضدّ في مجرى الحياة العلمية والجنوح بالمدركات والعلوم إلى نحو من خدمة « التجزئة والفرقة » وإعادة صياغة الأصلين لخدمة الاستعمار والاستهتار والاستثمار.. وغالب وقوع هذا الانحراف بُعيد سقوط قرار الأمة وظهور عصر التحولات الغثائية.. كما أشرنا سلفًا.. وهذه مرحلة جديرة بالدراسة لما جلبته من الفساد في التصور وفساد في التلقي، وفساد في الأحكام وفساد في الثمرات والعلاقات والمواقف.

المدرسة الأبويّة (الشرعيّة)..
والمدرسة الأنوية (الوضعية)..

باعتبار التقسيم الأزلي للعباد منذ فجر الخليقة. فقد جعل الله للخير أهلاً كما جعل للشر أهلاً.. وقد تنخفض الرؤية في بعض الأزمنة وبعض العصور؛ لكثافة ضبابية الأحداث فيختلط الأمر على الكثير، ويصعب التمييز بين الأضداد، وخاصة عند تشابه الأحوال الظاهرة، وتمازج المدارس المتنافرة حيناً بفعل فاعل، وحيناً بما تهيّأ من انحدار وضعف في نفوس أهل الحق، وتكاتف وتظافر أهل الباطل..

وعند التمحيص والدراسة يجد المرء أن بالامكان تمييز الفريقين بالتتبع الواعي لمنشأ العلل ومسبّبات التراكم، حيث يظهر بهذا التتبع تسلسل الانحدار المنهجي والفكري للرؤية والمتجَه الأصلي للمنطلقات المحركة مسيرة الحياة..

وقد فعلنا ذلك وبأسلوب متجرد عن الانفعال فاستفدنا من هذا الاستقراء اكتشاف المنابع الأساسية التي ترجع إليها أصول المدرستين مدرسة الخير المشروع، ومدرسة الشر المصنوع. ووجدنا أن مدرسة الخير بدأت بأب البشرية آدم فهو الأب الأول، ومدرسة الشر في الإنسان بدأت (بقابيل) بعد أن اتحدت مدرسته الشرّية

مع مدرسة إبليس فكان قابيل أول متلقٍ تعاليم الشرية في العـــالم، وأول منفذ لها؛ بل وأول مَنْفَذٍ عَمِلَ الشيطان من خلالـــه توســـع مشروع الإفساد في الأرض..

فسميت مدرسة الإسلام الحق مدرسة الأنبياء والرسل ومن اهتدى بهديهم وتناسل منهم على منهجهم « مدرسة الأبوّة الشرعية المسندة » أو « المدرسة الأبوية أو المنهج الأبوي الشرعي »، وفيها يقول الحق سبحانه وتعالى مخاطباً أمة القرآن مقرراً ارتباطها الأبوي بالأنبياء ﴿ **مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ** ﴾[1]. وجعل شرط الأبوة الشرعية إتّباع المنهج، وإقامة العهد وبها يتم تسلسل الارتباط في مدرسة الأبوة، وبدونها ينقطع الارتباط وينفصم التسلسل، قال تعالى: ﴿ **وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾[2]، ومثل ذلك في نوح عليه السلام وولده كنعان فليس

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) سورة البقرة : ١٢٤.

العبرة في المدرسة الأبوية بالتسلسل العرقي، وإنما هو بالإتباع للمنهج، وإذا اجتمعت الصفتان فالأمر أتم وأنفع.. كما هو في مطلب زكريا عليه السلام ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[1].. ويتأكد هذا التسلسل والارتباط في المراحل المتلاحقة رغم تباعد مسافاتها بما جاء في آيات الله من سورة الأنعام: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٨٥ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٨٦ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٨٨ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن

---

(١) سورة مريم: ٥-٦.

يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١) وهو الوصف الحقيقي لمدرسة الأبوّة في مسيرة العالم كلّه..

ويأتي مضاداً لهذا الاتجاه الأبوي الشرعي ما سمي بالمدرسة الأنويّة.. وهي مدرسة الشيطان الرجيم، ذلكم الشيطان الذي عبر عن مبدأ التفاخر والتكبر بشرف العنصر والمادة والذات.. مخالفاً للأمر عندما قال مولاه للملائكة: ﴿ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴾(٢) وعدّد القرآن نماذج الإباء الإبليسي.. الذي صار فيما بعد مدرسة الانحراف عن مفهوم الأمر، وسميت هذه المدرسة بالأنوية، لقول إبليس ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ فصارت مدرسة ناريّة إبليسية أنوية وضعية، وباعتبار أن لإبليس في عالم الإنسان حركة وملاحقة وتدخل مباشر، فلا غرو أن بثّ الشيطان مفهوم الأنوية في صدور الناس لإيقاعهم في شر ما وقع فيه.. وهذا الإيقاع يتفاوت بين بني

---

(١) سورة الأنعام : ٨٢-٩٠.

(٢) سورة البقرة: ٣٤.

الإنسان، فلربما كان شغل إبليس (الوسوسة والتربص بالـــصدور) وهم عليّة القوم من القادة والعلماء، ووجهاء المجتمعات إذ بإغوائهم والسيطرة على عقولهم وقلوبهم يبدأ سقوط المجتمع الإســـلامي مـــن داخله.. وهذا أحد معاني قوله تعـــالى: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ -كما سبقت الإشارة إليه- والصدور في أحد المعـــاني وجهاء القوم وسراتهم وقادتهم.. وبفساد قرار الحكم والعلم تفـــسد الأحكام والمناهج، ويتربّع الفساق والعشاق ومن نحا نحـــوهم علـــى مقدرات العلم والفكر والثقافة والتعليم[1]..

ولهذا فإن المسيرة الأنوية عَبر التَاريخ قد أسقطت عشرات الأمم في الانحراف الفكري والثقافي والعقائدي؛ بل وسيطرت على جملة من صدور العلماء خصوصاً في أهل الكتـــاب ليخـــدموا المنـــهج الإبليسي داخل دياناتهم ومللهم.. ولم يتصدّى لهم على مدى تاريخ الانحراف أحد من الناس ما.. سوى الأنبياء عليهم الـــسلام ومـــن تبعهم،كما كشف انحرافهم الحقّ سبحانه وتعـــالى في تنـــــزيله

(١) وهذا لا يعني اقتصار الوسواس على الصدور دون غيرهم، وإنما هو ملحظٌ لأحد معاني الآية في تكثيف إبليس شأن الإغواء لأولئك أكثر من غيرهم. اهـــ

العظيم على لسان نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم؛ بل وبلغ الانحراف الخطير من أهل الكتاب أن تجاوزوا الحدود في علاقاتهم بأنبيائهم، وتجاوزوا الحدود في علاقتهم بربّهم، وهذا القرآن يدمغهم في آياته البينات، ويبرز حجم الصورة الأنوية الإبليسية الوضعية التي كانوا عليها ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[1].

ويرفع (القرآن الكريم) للعالم الإنساني خبر الفريقين من اليهود والنصارى في فشلهم الذريع لحمل الأمانة الأبوية الشرعية التي كُلِّفُوا بها، وأنهم أدانوا أنفسهم بأنفسهم في هذا الفشل الذريع، بقوله تعالى حاكياً عنهم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[2] .

ويترتب على هذه الإدانة الشرعيّة وجوب اتخاذ موقف شجاع أمام ما يدعونه اليوم في مرحلتنا المعاصرة من ريادتهم لمبادئ حقوق

---

(١) سورة البقرة: ٦١.

(٢) سورة البقرة: ١١٣.

الإنسان، ومبادئ السلام، ونزع سلاح الدمار الشامل، ودعـــوهم لمبدأ الديمقراطية والتعددية.. وحوار الحضارات، وتقارب الأديـــان، وما شاكلها من أطروحات المرحلة الجديدة.. المرحلة المعروفـــة في منهجنا الإسلامي الشرعي «**بالفتنة الرابعة : البكمـــاء العميـــاء الصماء**»[1] التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكـــافر، وهـــي إحـــدى علامات الساعة.. ولابد من فهمها وفهم ما سبقها مـــن داخـــل الديانة، لأن أصل (التفاهم وإقامة العدل) هي (الديانات وكتبها السماوية) وأما ما يتعلق بإصلاح الواقع الإنساني فأمر لا غبار عليه ولا خلاف، فأصل الحوار بين الأمم.. « أصول الديانات » وأصول الديانات: (كتب الوحي السماوي).. والأنويون: (عصبة العمل

---

(١) سبق تخريجه، والجدير بالذكر أن الفتنة الرابعة العمياء الصماء ورد ذكرها في مسند أحمد (٣٨٦/٥) من حديث حذيفة، قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير وأسأله عن الشر وعرفت أن الخير لن يسبقني، قلت: يا رسول الله أَبَعد هذا الخير شر؟ قال: « يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه » ثلاث مرات، قال: قلت يا رسول الله أبعد هذا الشر خير ؟ قال : « هدنة على دخن وجماعة على أقذار » قال : قلت يا رسول الله الهدنة على دخن ما هي؟ قال: لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه، قال : قلت يا رسول الله أبعد هذا الخير شر؟ قال: فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار وأن تموت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم.

الإبليسية) تُعلن فشل الأديان، وتحارب التدّين.. وتضع مبادئها النظرية بديلاً عن عالمية الأديان تحت المبادئ الثلاثية:

(العلمانية العلمنة العولمة)

وهذا يبرز جنوحها التام عن محور الحق العالمي المراد في أمر الخالق سبحانه..

وقد تبيّن هذا من خلال المتابعة التاريخية للمراحل الثلاث الأخيرة:

مرحلة الاستعمار: وهي المرحلة اللاحقة لسقوط قرار الخلافة الإسلامية، وتجزئة العالمين العربي والإسلامي إلى حدود جديدة ترضخ لسياسة الدول المستفيدة من التحولات والحروب.. وكانت منطلقات المرحلة هي القمع والسلب والنهب والسيطرة على الشعوب ومقدراتها، ثم تفريغ محتوى (الأمّة) من داخلها مقابل خدمات ماديّة، وإصلاحات حياتيه محدّدة أُطلق عليها « البناء الحضاري »، وكانت هذه المرحلة من وجهة نظر الإسلام العالمي (هي مرحلة إرهاب دولي، واغتيال لقرار الإسلام العالمي)[١].

---

(١) أسماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بفتنة الأحلاس وفتنة السراء.

ثم تلتها **مرحلة الاستهتار**، وهي المرحلة الأنوية الثانية بعد مرحلة الاستعمار.. وهي المرحلة التي برزت فيها كتلتي الصراع العالمي الشرق والغرب عبر الحرب الباردة التي التهمت عشرات المقاطعات والدول العربية والإسلامية لتدخل معركة (الصراع الطبقي) وتسمح لقوى (الرأسمالية الغربية والشيوعية المادية الشرقية) من اقتسام العالم، وإنجاح أدوار التجزئة والصراع تحت رعاية المجتمع الدولي ومؤسساته الأنوية الإبليسية[1]..

وكانت مرحلة ملطخة بالدماء والإرهاب المسيس، وإرضاخ المجتمعات إلى رغبات وسياسات (حفنة من عصابات الحرب والمال والسياسة).

وأخيراً جاءت **مرحلة الاستثمار**.. وهي ما عُرفت بمرحلة الصحوة، وما يليها من تحولات وتطورات مثيرة.. وقد اتسمت هذه المرحلة بكشف الأقنعة المزيفة، والمساحيق المركبة عن وجوه السماسرة المحليين والعالميين.. وانكشف الستار المُسدل على نماذج العمالات المسيسة، وأنها كُلّها تدور في حلقة واحدة، وتخدم

(١) أسماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بفتنة الدُّهيماء.

المستثمر الواحد برغم اختلاف مسمياها ومواقفها.. ونجد (الإسلام العالمي) يبرز عملاقاً في صورته الحقيقية بعد أن عَتّم (الحُكام ومن وراءهم) بعلم أو بغير علم جوّ المعرفة والتربية والتعليم والإعــلام لصالح المستعمرين والمستثمرين..

ووجدت الشعوب المسلمة نفسها في حاجة إلى (دينها ووحي ربِّها) كي يفسّر لها الظواهر، ويبرز لها خداع المستعمر والمستثمر الكافر؛ ولكن هيهات.. فالمستفيد من عمليــات المراحــل لا زال قابضاً على زمام المرحلة، ومستثمراً لكل ما يدور فيها.. وقد بلــغ بالعالم إلى طرح مشروع « الوسطية والاعتدال » للــتخلص مــن مجموع العمليات المسؤولة عن طــرفي الإفــراط والتفــريط بعــد استثمارها غاية الاستثمار..

وها نحن اليوم أمام هذا المشروع الجديد.. وهو مشروع يحمــل نقيضين:

١) الوسطية والاعتدال المسيّس.

٢) والوسطية والاعتدال المشروع.

فالمبدأ ذاته يلزم ساسة المرحلة أن يعيدوا من جديد وجهة النظر في الشرائح والمدارس التي حاربوها أو همّشوها في مسيرتي الإفــراط

والتفريط؛ لأنها في منهجيتها التاريخية تمثل معنى من معاني الوسطية والاعتدال، فكيف يمكن إعادة استثمارها؟ بديلاً عن المدارس الحاملة مبدأ الاندفاع والانتفاع المسيس.. فالمستثمر لا يعنيه فشل مدرسة أو نجاح أخرى.. وإنما يهمّه الدفع بالمدرسة الفاشلة عند الحاجة إليها لتصعد مراقي النجاح المستفاد منه.. كما يهمّه لفظ المدرسة الناجحة بعد إتمامها دور المرحلة، وإعادة النظر في سلامة منطلقاتها.. وتصبح الوسطية والاعتدال في هذه العملية السياسيّة.. لعبة محكمة الأطراف.. تعود في كل أحوالها لمصلحة (العصبة الإبليسية في العالم) مالكة القرار.. ومستثمرة الحرب والاستقرار..

إذن ما هو مفهوم الوسطية والاعتدال المشروع؟!!

إنّه مشروع الإسلام الحقّ، الإسلام الوارث جميع مراحل الديانات والتدين في تاريخ الإنسانية.. ودامغ الانحراف الأنوي الإبليسي الوضعي في كل صوره التاريخية، وواضع المنهج العالمي لقيادة العالم على مراد الله تعالى.. قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا**

فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1].

فالصراط المستقيم الذي أُمرت الأمم الإنسانية بإتباعه في المرحلة الأخيرة، هو الإسلام ولا غير.. وهذا أمر من خالق البشر سبحانه، وفيه يقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[2].

فمن هذا الذي ينادي بتجاوز الإسلام وتطويعه وتطبيعه وترويض أتباعه؟.. أليست (عصبة العمل الإبليسية) التي حاربتها الأديان السماوية عبر تاريخ الإنسان.. فكيف يستجاب لها؟؟ وصاحبها يأتي يوم القيامة قائلاً: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[3].. فالإسلام دين العالمية الحقّه..

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥.

(٣) سورة إبراهيم : ٢٢.

وهو الدِّين المهيمن على بقية الـــرؤى والأفكـــار والتـــصورات في الخليقة.. وجدارته مقتبسة من نصوص القرآن دون غيره، ولا شكَّ في جدارة غيره من سابق الأديان، لولا أن أتباع الأديـــان خـــالفوا وحرّفوا وعملوا على صرف شعوبهم عن إتباع أنبيائهم، وأخفـــوا نصوص كتبهم وحرّفوها.. واختاروا لأنفسهم وأجيـــالهم إتبـــاع الشيطان بكذبهم على ربهم وأنبيائهم بإثارة محور الصراع المرحلـــي المسيس الذي يزج (بالإنسان) خارج ميدان الديانة والتدين فصار الكل بهذا الجنوح مدموغاً وغير مقبول.. وخاصة في مسألة العلاقة بالله وتوحيده وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومسلمات الأديان الـــتي لا قبول عند الله إلاّ بها.. وهي ما جمعته رباعية الأركان: (الإسلام والإيمان والإحسان) باعتبارها أركان بناء الحياة الدينية والدنيويـــة، ويتبعها الركن الرابع ركن الإيضاح للهدم الإنساني ونقض العُـــرى وهو العلم بعلامات الساعة وكلها أسس ثابتة في إعـــادة علاقـــة الإنسان بالديانة.. وميزان عدل في إبراز موقع الصدق الإيمـــاني في المتدين أو إبراز موقع الكفر والخيانة والعياذ بالله..

فقه التحوّلات وسُنّة المَواقف

يُولَد المرء في مجتمع وبيئة ذات عادات وتقاليد وذات شرائح اجتماعية متنوعة.. ويكبر الوليد، ويشبّ الصغير، ويبلغ المميز، ويستقيم عود الشاب لينطلق نحو الكهولة، وهكذا حتى الممات.. وغالب ما يرد على ذهنه وعقله وقلبه ما ألفه وتعوده ممن حوله؛ بل وتبدأ آثار نقل المعلومات، وتحديد وجهات النظر نحو الأشياء قبيل البلوغ من حياة الفتى والفتاة على هذا المنحى المألوف.. وفي هذه الفترة أيضاً تُبنى مواقف الأجيال نحو مفاهيم ورقوم التاريخ وتحولاته، ويجد المرء نفسه منقاداً للحبّ والبغض والمدح والذم حسبما تَلقى أوليات المعرفة والعلم من محيطه الخاص ثم محيطه العام.

ولربما شَعَر المرءِ بالتناقض فيما يسمعه من والده وأسرته في كثير من القضايا الأبدية والأزلية، وما يسمعه بعد ذلك من معلميه ومدرسيه، وخاصة في المدارس الحديثة، وقد يتسع معه الإشكال إذا اختلط بالشرائح الاجتماعية والفئوية ذات التكتلات الحزبية، وربما حصل المحضور وتغيّر الفرد من حال إلى حال، ومن طور إلى طور..

وتنتقل هذه الرؤى من التكتلات والصراعات لتصبح في عقول القادة والساسة والعلماء إلى مواقف مذهبية أو فئوية أو تيارية تحمل

مسمى الحزب، أو الجماعة، أو الكتلة، أو غير ذلك.. يكتــب في شأنها ذاك، ويقعد لها غيره.. ويتصدى لنقض عُراها هذا من جماعة أخرى، ويفذلك مفاهيمها آخر.. وهكذا دواليك..

بل بلغت هذه الأزمة في تاريخنا القريب إلى قضية شرعية تصدر بها الأحكام والقرارات والفتاوى كجزء من سنن الإسلام والمسلمين كما هو في مرقومات المدارس الرافعة عقيرة تهمة التشريك والتكفير والتبديع والتضليل، يخطب بها على المنابر، ويقرأ ثمرات مطابعهــا الجميع، وتفشت هذه العلل والافراطات في مرحلتنا المعاصرة حــتى فرقت بين الأب وابنه والأخ وأخيه، وشتت الأســرة الواحــدة، والبيت الواحد، والمجتمع الواحد..

ثم ما نلبث أن نجد المدرسة المتبنية لهذ الفكر المسيس تتنصل عن أتباعها وتلامذتها وتتناول قضية الإفراط والتفريط كعلّة من علــل غيرها في مرحلة التسييس للوسطية والاعتدال لكي تبرز رائدة لــه، ومجسده لمعانيه وتطبيقاته.

فما هذا الأمر، وما هو الخطب؟ ومن أين بدأت العلّة؟ وهل ما ينطق به المتحدثون في أرض الواقع هو أصل الديانــة والتــدين؟ أم رُكام المراحل وحصيلة الصراع بين الأواخر والأوائل؟

هذا ما عشناه وعايشناه، ونبتت عقولنا وقلوبنا على ملاحظته ومشاهدته.. فأين الحقيقة البلجة؟.. والحديث الشريف يؤكد نصاعة هذه الملّة وانعدام القرين لها في سابق الملل والدعوات؛ بل يؤكد القرآن خيرية هذه الأمة بين سائر الأمم.. فهل تكون هذه الأمة خير الأمم وهي على هذه الكيفية من التمزق والتناحر؟.. ثم كيف يبدأ المصلح الذي سئم هذه الحالة.. ومن أين ينطلق ؟ ومَن مِن هذه الدعوات المحتشدة يُتَّبع وكلّ يتحدث عن سلامة متجهه وفساد غيره؟، وهذا يبرز أو ذاك فساد مرحلته بما لا يدع مجالاً للشكِّ أنه يحارب الفساد ولا يبتغيه؛ ولكنّه يستثمره ويصل إليه منه ما يضعفه ويرديه.. كما قال صلى الله عليه وآله وسلم عن ظاهرة (الفساد الاقتصادي) في آخر الزمان « **مَا مِن بيت إلاّ ودَخلَهُ الرِّبَا، ومَن لَم يَدخُلَهُ الرِّبا دَخله غُبَارُه..** »[1].

---

(١) وعند دراسة هذه الظاهرة تجدها مدعومة تحت حماية مدرسة شرعية من مدارس حماية التوحيد في أشرف مواطن الرسالة والتنزيل.

والحديث أخرجه أبو داود في سننه (١١٤/٤) وابن ماجه (٧٦٥/٢) من طريق داود بن أبي هند، عن سعيد بن أبي خيرة، عن الحسن عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليأتينَّ على النّاس زمان لا يبقى منهم أحد إلاَّ أكل الرِّبا

وأمام هذه المعضلات وما ترتب عليها من قتامة وضبابية في واقعنا العربي والإسلامي، وجدنا بفضل الله وكرمه أن أصول الديانة لا زالت معطاءه.. وأنها تحمل في مرقوماتها الخلاص والمخرج والنجاة لمن ألقى السمع وهو شهيد إلاَّ أن إشكال الأمة وضياعها ثمرة من ثمرات تترس حملة قراري الحكم والعلم بمتاريس الطباع البشرية، وتجاوز الآداب الشرعية في شأن المواقف والعزة الممنوحة مما حدا بهم إلى ما هم عليه وما هم سائرون في مستقبل المرحلة إليه.

ولهذا فإن من مرقومات الشريعة التي تحمل معنى من معاني المخرج من الشدة، ومعالجة الانحرافات الطارئة في أمة القرآن التأمل الواعي في رباعية الأركان هذه الأركان التي تحمل فقه الديانة والتدين.. وهي في حقيقتها المرقومة والمأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة أركان؛ ولكنّ التعلم والتعليم المنتشر في تاريخنا الماضي والمعاصر مقتصر على ثلاثة من أركانها فقط، وهي فقه الإسلام، فقه الإيمان، فقه الإحسان.

=فمن لم يأكل أصابه =من بخاره » قال أبو داود : قال ابن عيسى – وهو محمد بن عيسى شيخ أبي داود في الحديث – أصابه من غباره، قلت: وهو لفظ ابن ماجه.

وتدرس علامات الساعة كمعلومات إضافية فقط، ونعتقد يقيناً أن الوحدة الموضوعية للحديث أثبتت رباعية الأركان، وأن أركان الدين أربعة:

الإسلام – الإيمان – الإحسان – العلم بعلامات الساعة

وبهذه الأربعة الأركان ينتظم عقد الركنية الشرعية للدين، ويفهم السبب المؤدي إلى نقض ثوابت الإسلام والإيمان والإحسان على ألسنة المتنطعين والمتحذلقين. فالركن الرابع من أركان الدين ركن اعتنى بإبراز الهادمين والكاذبين والمنافقين ومن سار سيرهم في تاريخ التحولات المتلاحقة.. ولهذا فإن الركن الرابع يحمل فقهاً خاصاً به يسمى « فقه التحولات » ومادته العلميّة هي مجموع الأحاديث الشريفة التي نطق بها خير الورى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عن مظاهر علامات الساعة، وهي على ثلاثة أنماط:

١- العلامات.

٢- الأشراط والملاحم.

٣- الفتن، والفتن المضلّة.

وقد تناولناها بتفصيل في كتابنا الأصول الأربعة[1]..

وأما سنّة المواقف فهي أيضاً إضافة محمودة - إن شاء الله — على ما قرره العلماء من تقسيم السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، إلى:

١) السنة القولية.

٢) السنة الفعلية.

٣) السنة التقريرية.

وأضيف إليها بعد الاستقراء التام لفقه التحولات والتتبع لعلامات الساعة، سُنّتَان:

١) سنة الدلالة.

٢) سنة المواقف.

أما سنة الدلالة فهي لإثبات ما لم يكن على عهد رسول الله، ولا على عهد صحابته من لاحق المستجدات ذات العلاقة بمدلول السنة وفحواها.. حيث أكثر المتأخرون الجدل فيها تحت هذه

---

(١) كتاب أصول الدين الأربعة (الإسلام والإيمان والإحسان والعلم بعلامات الساعة). مطبوع. للمؤلف.

القاعدة المستحدثة « هذا لم يكن على عهد رسول الله، ولا على عهد صحابته » لنفي ما يقوم به بعض المسلمين من اجتماع على قراءة سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً، أو زيارات للصالحين، أو احتفال بالمناسبات الإسلامية.. أو غيرها من السنن والمستحدثات المنطوية تحت مفهوم البدعة الحسنة ، ومهمة سنة الدلالة إبراز العلاقة الشرعية بين الفعل المستحدث وبين أصول الشريعة الغراء.. من غير إفراط ولا تفريط.

أما سنّة المواقف، وهي ما نحن بصددها هنا.. فهي ما تقرر من مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومواقف أصحابه وخلفائه أمام مستجدات الفتن والتحولات والأشراط والعلامات. والمعلومة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد، وأنه من يعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسُنّتِي وسُنّة الخُلفاء الرّاشدين المهديّين عضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كُلّ بدعةٍ ضلالة** »[1]، وقوله صلى

(١) رواه ابو داؤود والترمذي/ رياض الصالحين.

الله عليه وآله وسلم: «**مَنْ أَحَيا سُنَّتِي** (أي مواقفي) **عِندَ فَسادِ أُمتِي فَلَهُ أَجْرُ مِئةِ شَهِيد**»[1].

وهذه السنة وإن لم يقررها العلماء السابقون بهذا المعنى فهي جزء من حقيقة الإسلام الذي قرره في هذه الأمة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، حيث أننا عند تتبع معنى الحـــديث : « **عَلـــيكُم بسُنَّتِي وسُنّة الخُلَفاءِ** » لا نجد فيما بين أيدينا من المعرفة والعلم سنة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنة أخرى للخلفاء الراشـــدين.. وإنما نجد سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم المعروفة بالـــسنة القولية والفعلية والتقريرية، إذن فمعنى سنة النبي وسنة الخلفاء هي: (المواقف) أي مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومواقـــف

(١) قال خالد: الرواية جاءت بلفظ « من تَمسك بسنَّتِي عند فساد أمتي فلهُ أجرُ مئةِ شهيد » أخرجه بن عدي في الكامل (٣٢٧/٢) والبيهقي في الشعب كما في الترغيب والترهيب (٤١/١) من طريق الحسن بن قتيبة، عن عبدالخالق بن المنذر، عن ابن نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعاً مدفوعاً، والحسن بن قتيبة قال الدار قطني في رواية البرقاني : متروك الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال الأزدي : واهي الحديث، وقال العقيلي : كثير الوهم كذا في لسان الميزان (٣٠٥/٢)، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به إلا أنه قال : « فله أجر شهيد ».

أصحابه وخلفائه « **الراشدين** » (من الرشد) « **المهديين** » (مـــن الهداية) إلى يوم الدين.

وفي هذا الباب تفصيل مفيد أوردناه في كتابنا التّليد والطّارف في فقه التحولات وسنة المواقف.

المُعَادل الثّالث في أصول الدَعوة ونَشر الإسلام
(الأخلاق النبويّة)

من المعلوم أن العلماء -رحمهم الله- قد أصّلوا ثوابت المذاهب، واجتمع رأيهم على تقسيم السنة عند الاستدلال إلى:

سنة قولية، وفعلية، وتقريرية.

ثم أجمعوا على أن أصل الاجتهاد قائم على:

الكتاب والسنة، وزاد كل صاحب مذهب ما يراه مناسباً لمفهومه عن الديانة والتدين، كالإجماع، والقياس، والرأي، وغيره.

أما بالنسبة لمنهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر الإسلام في العالم، فهناك ثلاثة ثوابت لابد من إنتاهجها مع كل مرحلة وزمن:

١) كتاب الله.

٢) سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣) الأخلاق النبوية.

ومن المؤكد أن حديث « **مَا إن تَمسكتم به لن تَضلّوا (كتاب الله وسُنّتِي)** »[1] هو حديث ضعيف لا يستدل بــه إلاّ في نــواحٍ معينة.. بشواهد أخرى تؤيد معناه وتعضده. أما الحديث الحامــل لثوابت الصحة سنداً ومتناً وروايةً فهــو حــديث: « **كتــاب الله وعترِتي آل بيتي** »، ومع هذا وذاك فإن السنة النبوية هي المــصدر الثاني للتشريع بلا خلاف. وآل البيت من حيث مقامهم الشرعي، واتخاذ مواقفهم حجة تعادل السنة، إنما هــي مــشروطة بــشرط (الأخلاق النبوية) المعادل الثالث.

أما عند انتهاجهم منهج غيرهم من طرفي الإفــراط والتفــريط فيلتزم لذواتهم بالأدب والإجلال والاحترام، ولا يلتزم لتأثرهم بمنهج الإفراط أو التفريط.. ولهذا فإن (المعادل الثالث) وهي ما عُبِرَ عنها بأخلاق النبوة تعدُّ عاملاً مهماً في إنجاح الاســتدلال بكتــاب الله وسنة رسوله.. ولهذا الاستدلال شــاهد قــرآني: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا**

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٩٣/١) من طريق ابن أبي إدريس، عن أبيه، عن ثور بن زيد الديلي، عن عكرمة، عن ابن عباس .

بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فالآية الكريمة أبرزت المعادل الثالث بوضوح.. وهي النبوة، والنبوة في معناها المشار إليه هي (الأخلاق النبوية) التي أبرزتها مواقف حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منهج الدعوة إلى الله منذ بداية الإسلام والتي أثنى الله بها على نبيه عليه الصلاة والسلام في قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]..

فدعوة الكتاب والسنة من غير أخلاق جنوح وتعدٍّ وتطرف، وهذا ما فعلته كثير من الجماعات الإسلامية في سابق التاريخ ولاحقه حيث تعسفت النصّين (الكتاب والسنة) لصالح الانحراف، والملك العضوض، والخروج على أئمة الهدى.. ثم استحلال دمائهم، ودماء المسلمين، وانتزاع سلطة القرار والحكم به، واستثماره للمصالح الذاتية.. جاهاً وسلطةً وامتلاك.

(١) سورة الأنعام : ٨٩-٩٠.

(٢) سورة القلم: ٤.

وعلى هذا الملحظ الهام يدعو الإسلام كافة رجال المذاهب المتناحرة الارتقاء من مستوى حضيض النفس والهوى إلى (مستوى مفهوم القواسم المشتركة) هذه القواسم التي ترتقي بهم فوق فهم المجتهد للنص الشرعي المختلف عليه.. وسنفصل هذا المدلول في الفصل الآتي.

مبدأ القواسم المشتركة بين أمة الإسلام

هناك الكثير من مسائل الائتلاف التي تتفق عليها أمة الإسـلام بعمومها، وأما ما يختلف عليه فهي مسائل محـددة وقليلـة.. وإذا افترضنا أن هذه المسائل القليلة يراها البعض أساسيّة وموجبة للاختلاف مع الرأي الآخر باعتبار الدليل.. فإن مادة (الأخلاق الإسلامية) التي كان عليها من لا ينطق عن الهوى هي أحق بالإقتداء، وهي أولى بالإتباع مع المخالف؛ لأن الإسلام كله إقتداء بالمتبوع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، بأمر الله تعالى في قوله: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[1] والإقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المسألة لا يعني قبول الرأي الآخر أو الانطواء فيه. وإنما تجاوز مسبّبات التصادم واقتناص العلاقة العامة لخدمة مبدأ الاجتماع في الإسلام.. وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يهادن المنافقين، ويقبل وجودهم في مسجده وجهاده، ويقبل مخالطتهم إياه، ويؤدي ما عليه من واجب عام نحوهم مع علمه صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة الأحزاب : ٢١.

بمواقفهم ومعارضتهم.. ولما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شأن بعض أهل النفاق « دَعنِي اضرب عُنقَهُ » لمّا اعترض على قسمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهوازن، فردَّ عليه صلى الله عليه وآله وسلم: « **لا يقول النّاس أن مُحمّداً يَقتل أصحَابه** ». فدلّ على اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوحدة الصفّ، وتمتين الجبهة الداخلية، ولو بالصبر على المخالفين المنازعين، ليستفيد من ذلك إخراس المتربصين بالرسول وديانته.. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل بينه وبين المنافقين صورة معينة لقاسم مشترك سماه « الصُحبة » مع أنها لم تكتمل شروطها؛ إلاّ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعتبرها قاسماً مشتركاً لتستمرالمعايشة والمخالطة.. بالأخلاق الإسلامية.. والذين يعتبرون سلوك النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصّاً به أو بعصره فهؤلاء يتجاوزون بعلم أو بغير علم معنى الإقتداء والاهتداء بالمواقف، ويتخذون لأنفسهم سنناً ومواقفاً في المعاملة يستنبطونها من أهوائهم ورغباتهم وتعصّبهم.. مع أننا لا نغفل هنا مسألة التفرّد لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخصوصياته في بعض الأمور؛ ولكنّ الإقتداء به في شؤون المعاملة والمواقف مع الخصوم جزء من سنة المواقف التي سبق تناولها.

والقواسم المشتركة مبدأ نَهَجَه سيّد هذه الأمة منذ أن بعثه الله تعالى لإصلاح هذا العالم.. وكان يعامل به كافة أجناس البشر وليس المسلمين فقط، واستطاع به أن يعامل كفار قريش ومشركي العرب وأهل الكتاب، وكان لكلّ قوم من الأقوام معنىً خاصاً بالقواسم المشتركة التي ينطق من خلالها صلى الله عليه وآله وسلم، ويلزم أصحابه قبول مواقفه والإقتداء به لينالوا نصيباً من الأخلاق الشرعية، ويطوّعوا أنفسهم على قبول الآخر ضمن أُطر معينة، وضوابط محدّدة؛ لإبراز عالمية الإسلام وشمول نظرته للآخرين..

ونحن هنا بصدد الحديث عن (قواسم الأمة ذاتها) ولسنا بصدد التعامل مع الكفر والكافر.. وإن كانت آيات العصر الحديث قد قلبت المعاملة رأساً على عقب فجعلت جسور الصداقة بين مسلمي المرحلة والكفار أقرب بكثير من جسور المعاملة بين المسلمين أنفسهم.. وهذه علّة لها أسبابها ونتائجها، ومن أسبابها امتلاك الكفار قرار الأمة، ومن نتائجها تقارب وجهات النظر، والمصالح الدنيوية بين مالك القرار ورعاياه الماديين، وتباعد وجهات النظر والقواسم المشتركة بين حملة الحكم والعلم والشعوب. وهذه أشد العلل انتشاراً وتأثيراً على حال الأمة ومواقفها وللأسف ..

ولهذا فإن من واجب العلماء والعقلاء من الحكام ومنفذي قرار العلم والديانة.. أن يقدروا للأمانة قدرها، فيعملوا ما استطاعوا على إعادة لحمة العلاقات الإيمانية بين المذاهب والجماعات على أساس من مفهوم (القواسم المشتركة) ويجعلوا قدوتهم في إقامة هذا المبدأ (مواقف صاحب السنة صلى الله عليه وآله وسلم) حيث لا يقتدى إلاّ به ولا يهتدى إلاّ بهديه..

وكما يحتج المذهبيون وعلماء الفئات والجماعات بالكتاب والسنة كدليل على فساد منهج أو بدعية سلوك عند الآخر، فإن من واجبهم الشرعي أن يقتدوا بصاحب الكتاب والسنة في حُسن أخلاقه ومعاملته مع أضداده وأعدائه.. فضلاً عن إقتدائهم به في معاملته مع من في حظيرة الإسلام ذاتها.. وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1]..

لقد طَغَى التعصب على المسلمين في أخريات الزمان، وانتقل بهم إلى نوع من الأنانية وحبّ الذات، والانقطاع عند المفاهيم الخاصة

(١) سورة فصلت: ٣٤-٣٥.

التي نشأت وتكونت بفعل الظروف التاريخية والظروف المرحلية.. وخاصة مرحلة « **الغُثاء** » التي عبّر عنها من لا ينطق عــن الهــوى صلى الله عليه وآله وسلم.. هذه المرحلة التي أفرزت للعالمين العربي والإسلامي « **داء الأمم** » التي قال عنها صلى الله عليه وآله وسلم : « **أصابكم داء الأمم،** قالوا: يا رسول الله وما داء الأمم؟، قـــال: **البغضاء والحسد، لا أقول حَالقة الشعر ولكنّها حَالقة الــدِّين ألا أدلُكم على شيءٍ إذا فَعلتمُوهُ تَحاببتم أَفْشُو السَلام بينكم** »[1].

والسلام من معانيه إحياء مبدأ القواسم المشتركة.. وفي إحيائها إماتة لبدع كفرية وجاهلية نشأت في مرحلة تسلط القرار الكـــافر

(١) أخرجه الترمذي (٧٣،٧٤/٤) وأحمد في المسند (١٦٤/١، ١٦٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٩٣/١٠) عن طريق عبدالرحمن بن مهدي، عن حرب بن شداد، عن يحيى بن أبي كثير، عن يعيش بن الوليد أن مولى للزبير حدثه أن الزبير بن العوام حدثه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسدُ والبغضاءُ هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم : أفشوا السلام بينكم » كذا هو عند الترمذي، وأحمد، أما البيهقي فقد رواه من طريق هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد، عن الزبير بن العوام، وهو كذلك عند أحمد في المسند الأول أصح.

على بعض مقدرات المسلمين الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والإعلامية، وحشرهم جميعاً في قواسم إجبارية ليخدموا بها هذه الهياكل الأجنبية حيثما عملوا وعلّموا وتعلموا، بينما تفرقت مواقفهم في دينهم وشرعتهم، وكَوّن العدو لهذه الحرب الخلافية بؤراً ومؤسسات ودولاً تأتمر بأمره في شؤون، وتنفذ سياسة مبادئه في شعوب الإسلام..

إن أحاديث السلام في الإسلام تفتقر إلى وقفة واعية ليفهم الفرق بين النص النبوي وبين سلوك إتباع الرسالة، فالحديث الشريف الذي رواه مسلم يربط بين الإيمان والمحبة وبينهما وبين دخول الجنة وبدون هذا التلازم يحرم المسلم الجنة لمخالفة مبدأ السلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشو السلام بينكم** »..

ولإكمال معرفة (المرحلة الغثائية) نضع في الفصل القادم بعض ظواهرها..

حيث تناولت السنة الشريفة الإفصاح والإيضاح عن هذه

المرحلة بتفصيل ضمن أحاديث علامات الساعة.. وهي كما سبقت الإشارة إليها « الركن الرابع من أركان الدِّين » ومادة هذا الــركن الهام هي « فقه التحولات »..

ومن فقه التحولات التي تحدّث بها صلى الله عليه وآلــه وســلم «المرحلة الغُثائيَة » وقد تحدّدت بالاستقراء والمتابعة الشَرعيّة والتاريخية .بمرحلة سُقُوط قَرار الخلافة الإسلامي، وبالتحديد (تنحية الــسلطان عبدالحميد الثاني) وإعلان الدولة العلمانية التي ترتب على بروزهــا تجزئة العالم العربي والإســلامي إلى قوميــات، ثم شمــول المرحلــة الاستعمارية بالحربين الأولى والثانية، وما ترتب عليها مــن نفــوذ وتكتل دولي مع ضعف في العالمين العــربي والإســلامي، وتمــزق واستتباع بعد ذلك برامج أَكَلة القَصعَة كما سماهم النبي صــلى الله عليه وآله وسلم. في الحديث: « **يُوشِكُ أن تَدَاعَى عَليكُم الأمَم كَما تَداعَى الأَكلَةُ على قَصعَتِهَا**، قالوا: أمِنَّ قِلَّة نحن يا رسول الله؟، قال: **لا أنتم يومئذٍ كثير ولكنّكُم غُثاءٌ كغثاءِ السيل يُلَقَى عليكم الوَهَن،**

قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: **حُبُّ الدُّنيا وكَراهَية المــوت** » وفي رواية : « **وتُنــزَعُ المَهابةُ من صُدورِ عَدوكِم...** »[1].

وهذا الحديث الشريف يعد دلالة واضحة على أمور:

١- تنبؤه صلى الله عليه وآله وسلم بتداعي الأمم وتأمرهـا على المسلمين.

٢- سبب التداعي الرغبة في الاستيلاء على الثروات، ومواقع النفوذ.

٣- الأمة كالغُثاء. كثرة في التعداد السكاني، وشتات في القرار.

٤- « **يُلقى** » بصيغة المبني للمجهول.. أي يدخل عليكم حبّ الدنيا، والتعلق بها من خارج الإسلام والديانة.

٥- **الوهن**.. الضعف الباطن والظاهر بسبب التعلق القلبي بالدنيا وآمالها وأعمالها وشهاداتها وصناعتها والاستقرار المادي

(١) سبق تخريجه.

الصوري الذي هيئته مراحل الاستعمار والاستثمار في الواقع العربي والإسلامي..

٦- « **كراهية الموت** ».. رفض المسلمين الدفاع عن محارمهم وإسلامهم وديانتهم، وقبولهم الصداقة مع الكافر، وتنفيذ برامجه وتبرير هذه المواقف بالرغبة في السلام والتعايش مع الكفر والكافر تحت مسمى حقوق الإنسان.

٧- « **تنزع المهابة من صدور عدوكم** ».. جرأة العدوّ على اختراق صفوف الأمة، وإعادة ترتيبها لتدور في فلك العلمانية والعلمنة والعولمة.

وهذه العلامات كلّها تحدّدت في (أمة القرآن والسنة) مع بدء هذه المرحلة.. حتى اليوم.

وقد تناولنا[1] كافة مظاهر هذه المرحلة الممتدة من عصر التآمر على الخلافة والرقعة الإسلامية حتى نهاية مرحلة الفتنة الرابعة العمياء البكماء الصماء التي تبيّن أيضاً بالاستقراء أنها المرحلة المعاصرة.. وتنقسم المرحلة الغثائية إلى أربع فتن متلاحقة:

---

(١) في كتابنا التليد والطارف في شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف فليراجع.

١- فتنة الأحلاس.

٢- فتنة السرّاء.

٣- فتنة الدُهَيماء.

٤- الفتنة الرابعة العمياء البكماء الصماء.

ولكل فتنة من هذه الفتن ظواهر خاصة وعلامات تبرز حضور المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في استقراء حوادث آخر الزمان بيقين تصديقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: « **بعثتُ أنَا والسَاعةُ كهَاتَين** »[1]..

وقد فصَّلنا هذه المرحلة المشار إليها في الحديث بالمرحلة الغثائية.. وهذه المراحل الثلاث (هي مرحلة الغُثَائِّية) المعبّر عنها في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما ما سيأتي بعدها من حوادث التحولات فقد أودعناه في كتابنا المشار إليه (بالتَّليد والطَّارف في شرح فقه التحولات وسنن المواقف).. ففيه التفصيل الملائم إن شاء الله تعالى.. وفَوق كُلّ ذي عِلمٍ عَليم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٤٢٢فتح)، ومسلم في صحيحه (٢/٥٨١) والترمذي، (٦/٣٨١تحفة)، وأحمد في المسند (٣/١٢٤).

المُـثلَّـث المـدمـوج..
ودوَره في بناء جيل الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي

برز في الآونة الأخيرة شعور غريب في العالم، شعور نحو مسألة الحدّ من منطلقات التطرف والإرهاب.. وأيّاً كان السبب المـؤدي إلى بروز هذه الظواهر فإن الإعلام ومن وراء الإعلام من محركـي القرارات العالمية، حولوا مسألة العنـف، واسـتخدام الـسلام في الحصول على الحقوق والحريات.. قضية غير مشروعة.. ولابد من تصنيفها تصنيفاً سياسياً يحمل « مفهوم التطرف والإرهاب ».

ولأن أمّة الإسلام في مَرحلتنا المُعاصرة لا تَملك من الأَمر شـيئاً غير الحسبلة والحوقلة والحسرة على ضياع قرارهـا واسـتقرارها.. ولأن أمرها في كل شؤونها بيد حكامها ومـن دار في دائـرتهم.. فالحالة صعبة وتشخيصها أصعب وأصعب.

والخلاص من هذه الورطة يتطلّب من الشعوب ذاتهـا أن تعـي خطورة المرحلة.. وأن تعيد ترتيـب نفـسها حَـسب الإمكـان والظُروف، ويبدأ الترتيب غالباً من داخـل المُجتمـع وإصـلاح مُنطَلقاته..

فإن هيّأ الله حملة القرار لرعاية هذا الترتيب فالخير يعم ويتسع، ويبلغ مداه.. وإن لم يتهيأ من حملة القرار من يحتضن ترتيب الشعوب فإن المسؤولية لا تسقط بذلك.. بل يجب العمل الشعبي الواعي خدمة لله ورسوله والمسلمين من غير إفراط ولا تفريط ولا تحريض ضد قرار ولا مشاركة في ظلم.. ومن أهم شروط ترتيب الشعوب الاعتناء بالبناء التعليمي والتربوي والدعوي.. سواء ضمن المؤسسات الرسمية أن تهيأ ذلك.. أو ضمن المؤسسات الشعبية ذات العلاقة بالمنهج الأبوي المسند..

وقد أدت هذه المدارس الشعبية عبر تاريخ الأمة دورها الأبوي بتماسك وثقة، وعاد عائدها على الأوطان بالسلام والخير والأدب والاطمئنان في فترة محددة ومعينة قبل سقوط القرار وبعده بقليل قبل شمول مرحلة التطبيع الاستعماري[1].

ولأجل أن يتعرف التربويون المعاصرون على أسس البناء الشرعي « لإنسان الوسطية والاعتدال المشروع » عليهم أن ينظروا في أسس

---

(١) يمكن الإطلاع على كتاب (الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية) للمؤلف حول هذا الموضوع (مطبوع) .

وثوابت العمليات التعليمية والتربوية التي نُشّئ عليها جيل المسلمين عبر تاريخ المدرسة الأبوية الشرعية..

إنه المثلث المدموج..

التعليم + التربية + الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

وقد كانت غالب مدارس الإسلام في العالمين العربي والإسلامي على هذا المنهج الثلاثي، ما سوى القلة القليلة من بعض المـــدارس الشاذة..

والشذوذ في مراحل دولة القرار كان محجماً في دوائـــر معينـــة ومحاصرة.. ولكنّه بُعيد مرحلة سقوط القرار اتخذ منه المحركون لفتن المراحل رأس حربة لشقّ صَفّ المدرسة الأبوية الشرعية حتى صـــار الشذوذ قاعدة المرحلة، ومنهج أتباعها.. ولأننا هنا لا يعنينا مسألة المواجهة للشذوذ أو تفصيل تطوراته، فإننا نكتفي بتذكير الراغب في معرفة الحق من خلال الإشارة والملاحظة.

والمثلث المدموج المشار إليه هنا يمكن به إعادة ترتيـــب الجيـــل بشرط المعلم والمربي والداعي المخلص المتخذ من هـــذه العمليـــات قضية مصيرية، وليست مجرد وظيفة حكومية، حيث يكمن نجـــاح

المنهج الثلاثي بكونه قضية ومصيراً يتبناه المعلم والمربي والداعي؛ لإحداث بناء شرعي في نفس المتلقي يعرف به وظائفه الأزلية في الحياة وما بعد الحياة..

والأمر الآخر في إنجاح المنهج الثلاثي.. تحييد العمليات التعليمية والتربوية والدعوية عن (التسييس الحزبي والفئوي) مع ترسيخ حب الوطن والدفاع عن المبادئ الإيمانية العليا، دون الولوج في الصراعات الحزبية والتيارية المتنازعة في الوقع المعاصر.. ومثل هذا التحييد لا يمنع الشباب بعد مرحلة التخرج من ممارسة العمل السياسي والفئوي الواعي الخلّاق.

والأمر الضابط لهذا التحييد هو إعداد المنهج الملائم لمثل هذه الرؤية، وتجهيز المدرس المسؤول عن تنفيذ المنهجية العلمية التربوية بقناعة وإدراك..

لقد أبرزت عمليات الفصل المتعمد بين التربية والتعليم والدعوة إلى الله فشلها الذريع في « إيجاد الإنسان المتناسب مع مطالب البناء الحضاري المتنامي » بل ربما تكون هي المسئولة مسؤولية مباشرة عن إنجاح المشروع الاستعماري والاستهتاري والاستثماري في مرحلة الغثاء الممنهج. هذا المشروع الذي وظَّفَ طاقات الشباب، وإمكانات

الإدارات، ومواقع العمل؛ لتخريب الأبنية العلمية والاقتصادية والتربوية والصناعية في الوطن العربي والإسلامي خلال مرحلة الحرب الباردة بين قطبي الصراع العالمي « الرأسمالية والاشتراكية » وبين كتلتي الصراع السياسي (العالم الغربي والعالم الشرقي) وما نتج عنهما من إفرازات قلبت المنطقة بكاملها رأساً على عقب..

وأيّاً كان حجم المأساة فإنّ الإسلام يَرسمُ التفاؤل، ويحيي الفَسائل، متى ما توجهت القُلوب والقوالب إلى صدق الخدمة للأمة لضوابط الملّة وثوابت الدين.. ﴿ **دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾[1].. والتوجه المنشود في هذه المرحلة.. هو العمل الواعي في كافة أُطر التربية والتعليم المعاصر على إعادة توزيع الثلاثي المدموج في كافة مراحل الدراسة بدءاً من إعادة الكتاتيب (المعلامات) بأسلوبها التقليدي في تلقين العمليات الأولى من المهارات القرائية الجامعة.. مع الإعتناء التام بالأقسام الداخلية للطلاب والطالبات ووضع المنهج اللاصفي المتكامل أساساً في رعاية هذه الأقسام خاصة في ما يتعلق بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة

---

(١) سورة الأنعام: ١٦١.

الحسنة. وهذا يتطلب الإعداد المناسب والمعلم المناسب والمنهج المناسب.. فهل من مستجيب ؟.

أفَضل الجِهَاد كَلمَة حَق عند سُلطَان جَائر[1]

كان الحُضور النبويّ مع المَراحل المتقلبة فورياً وسريع المعالجـــة، كما أنه دقيق التشخيص، ولمجرد التأمل الواعي في ســـعة المفـــاهيم النبوية يتعرف المرء على مفهوم العالمية في لغة الحديث الـــشريف، كما يتعرف على لغة الواقعية، وشعبيّة الرؤية، وسعة المدلول..

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٩/٥) والترمذي (٣١٨/٣) وابن ماجه (١٣٢٩/٢) كلهم من طريق محمد بن جحادة عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: « أفضلُ الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » لفظ ابن ماجه، ولفظ أبي داود بزيادة : « أمير جائر »، ولفظ الترمذي : « إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » وهو كذلك عند الطبراني في مكارم الأخلاق، اخرجه أحمد بن عبيد الصغار في مسنده كما في المداوي (٦٧/٢) قال: أخبرنا العباس بن الفضل الأسفاطي، أخبرنا ابن كاسب، أخبرنا ابن عيينة، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، قال: « سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أفضل الجهاد، فقال: « كلمة عدلٍ عن سلطان جائر » ودمعت عين أبي سعيد. واخرجه أحمد في مسنده (١٩/٣١) عن يزيد بن هارون وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة، عن علاء بن زيد، عن أبي نضرة عن أبي سعيد، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة بعد العصر إلى مغير بان الشمس فذكر حديث طويلاً وفيه: « ألا لا أن رجلاً مهابة الناس أن يقول الحق إذا علمه إلا أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ».

ولعل هذا الحديث الشريف في موضوعه معانٍ تتلاءم مع مرحلتنا المعاصرة إذا ما فهمنا مقاصد الشريعة عبر التحولات والتقلبات..

فالجهاد هنا يحمل معنىً جديداً يختلف تماماً عن لغة المعارك، وحمل السلاح، يؤكده إمام الملّة بلغة الأفضلية.. أمام غيره من المعاني المألوفة، وهذا يشير إلى أن (مفهوم الجهاد) غير محصور فيما يحرص عليه الكثير من الناس من مسألة القتال والحروب ومجرد الزج بالأرواح في كل معتركٍ وفتنةٍ، فالكلمة الحاوية على مدلول الحق ونصرته.. هي أيضاً وسيلةَ جهاد.. واستخدام اللسان الصادق في معالجة الأزمات سلاحٌ ماضٍ في تشييد مباني الديانة والتدين، ويحدّد (رسول الحكمة) مشكلة المراحل، وما يتطوّر فيها من مستجدات تعطل بعض وظائف (الجهاد الشرعي) لسبب أو لآخر؛ لكنّ المدلول للجهاد لا ينقطع ولا يتجمّد عن (السيف والمعركة) بل يتسع داخل (مرحلة السلطان الجائر) لإثبات الحقّ أو لدرء الباطل..

وفي أحد معاني الحديث أن « **السُلطان الجَائر** » هي **المرحلة** التي يسقط فيها القرار، فلا تجد الأمة في مثل هذه المرحلة من يصدر قرار الحرب أو الجهاد في الأمة لتفرقها وتمزقها، وانتقال القرار إلى

عدوّها، ففي مثل هذا الجور المرحلي تبقى « **كَلمة الحقِّ** » معنىً من معاني الجهاد إذا وظفت توظيفاً سليماً.. وأسهمت في تماسك الأمة، وجمع كلمتها، وتُعَرفُ معاني « **كَلمة الحقّ** » ومعادلتُها للجهاد بالسلاح بما تُحدثه (كلمة الباطل) من أثر ودمار، وقد قدّر القرآن هذا المعادل، وشنّع على ألسنة الباطل المحاربة بالكلمة الخبيثة موقفهم، فقال في حق المنافقين: ﴿ **لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾[1].

بل واعتبرت الشريعة الغراء « كلمة الخير والحق » تبلغ العبد إلى مراتب العلو والرفعة عند الله « **إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات** »اهـ[2]..

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٠.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٧/٣١٠ منتقى) والبخاري في صحيحه (١١/٣٧٣فتح) واللفظ له من حديث عبدالله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي بها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها من جهنم ».

كما اعتبر كلمة الباطل توقع العبد في شر أعماله « **وإن العبـــد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي بها بالاً يهوي بها في نـــار جهنم** »[(١)] ..

وفهمنا لمعنى الحديث « **أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عند سُـــلطانٍ جائر** » لا يعني تعطيل مبدأ الجهاد واستبداله بالكلمة وحدها.. وإنما نضع كلمة الحق في مناسبتها كما يوضع السيف في مناسبته.. حيث لا عوض بأحد منهما بديلاً عن الآخر.. وهناك دلالات شـــرعية تؤكد ذلك حيث نجد نبي الأمة صلى الله عليه وآله وسلم يستخدم جهاد الكلمة في أكثر من موقف.. وفق ما يتطلبه الظرف والحالة.. كما هو في (غزوة الحديبية) عندما وظّف الكلمة حتى في الكتابة للمعاهد، ونزوله عند رغبة المشركين في تغيير بعـــض الألفـــاظ لا تنازلاً، وإنما جزءاً من موقف مرحلي.. برغم ما أصاب أصحابه من الغم والهم، وهم يحملون سيوفهم جاهزين للجهاد في ســـبيل الله؛ ولكنهم فوجئوا بموقف رسول الله صلى الله عليه وآلـــه وســـلم في فهمه للأمر واتخاذه للموقف، ومع هذا وذاك فقد نزل على رسول

---

(١) رواه البخاري.

الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في طريق عودته من الحديبية تأكيد مولاه بالنصرة له ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾[1] وإذا كان رسول الله وهو يُوحى إليه يتخذ مثل هذا الموقف الشجاع، فما بالنا لا نريد حتى أن نتفهم هذه المواقف، وندرسها على صعيد الواقع المعاصر، ثم نتخذ القرار المناسب..

إن لغة (الحديد والنار) التي غزت مرحلتنا الجائرة، وكانت في داخل أوطان الأمة سبباً في (صراع القوى المحلية) نقلت مدلول الجهاد الشرعي إلى قضايا (التسييس) والتكتل الفئوي.. وأسهمت في إضعاف الروح الجهادية الشرعية، ونزعت بالراغبين في السلامة من الحروب أن يحوّلوا بطولات الجهاد في سبيل الله إلى بطولات الرياضة والمسرح والتلفاز، وجعلوها جزءاً من الانتصارات الوطنية والقومية التي يفاخرون بها في مرحلة الغثاء والوهن..

ومرحلة الغثاء والوهن « مرحلة السلطان الجائر » لا تستطيع الأمة خلالها نصرة الحق.. ولا درء الباطل كما هو مشاهد في

---

(١) سورة الفتح : ١.

(قضية فلسطين) وغيرها.. فكلمة الحق في مثل هذه المرحلة تعتبر مثالاً بطولياً أمام تخاذل الأمة بعمومها حتى في (أسلوب الكلمة)..

وللكلمة مع السلاح موقع لا يستهان به في نصرة الحق وأهله.. والعلّة القاتلة هي جبانة (الفرد) أو (الجماعة) أو (النظام) عن الجهاد بكل معانيه.. لتحل محلها.. العمالة والخيانة والتخاذل والتواء المفاهيم، وإسقاطها في حضيض الرضا بالهوان والذلّة.

إن الكلمة الناطقة بالحق في عالمنا المعاصر داخل الإعلام والتربية والتعليم والقضاء والثقافة والصحافة... الخ - والمقصود بالحق (اللسان المعبرة عن مراد الله) - جهاد لا يساويه جهاد.. فالغالبية العظمى من جيل الإعلام مضللون بالكلمة الخبيثة التي عبر القرآن عن فشلها في صياغة الحياة المستقرة.. فقال تعالى: ﴿ **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ** ﴾[1]..

وإذا كنا حقاً عاجزين (في مرحلة السلطان الجائر) أن نحدد مصدر قرارنا في الجهاد الشرعي العالمي ضد عدونا التاريخي، فلماذا لا نحدد وجهة نظرنا في فهمنا لمنطوق الحكمة النبوية؟.. فنصلح دور

---

(١) سورة إبراهيم:٢٦.

الكلمة معبرين عن الحق حيثما كنا واستطعنا.. وبالكلمة الحقة.. نبني جيل المعرفة للحق.. ونهيئ للمستقبل مرحلة القرار.. والحرب مــــع العدوّ التاريخي واقعة لا محالة.. لأنها قد بدأت منذ سنوات طويلة من جهته بعدة نماذج.. فإذا كانت أسلحته المدمرة تجتث مظاهر الحياة في أنحاء من بلاد الأمة الإسلامية فإن كلمته الخبيثة تمهد لمعركته القادمة في كل موقع من مواقع حياتنا المعاصرة.. مع مقابلتنا لهذه المعـــارك بمزيد من الغباوة والسذاجة والتغافل المزري..

ولكلّ شيءٍ أوَان كما أنَّ لكُلّ أجلٍ كِتاب..

الوقـاية خير من العلاج

لا شك أن مبادئنا الإسلاميّة تعود إلى الحياة برغم ما قد مـات من استعداداتنا.. تعود لأنها جديرة بالحياة، وجديرة بتجددها مع كل مرحلة.. ولكنّ المصيبة في الإنسان.. أنه مخترق من كل الوجوه، ومحاط بالمؤامرة الشيطانية من كل اتجاه.. وكأني بالقسم الإبليسي ساعة تحدي الشيطان أمر السجود، في قوله: ﴿ **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ** ﴾[1].. قد أتى أُكلَهُ وحقق مطلبَهُ.. وهذا ما تشهد به الوقائع، وتبرزه الأحوال..

وإذا ما نحن وجدنا من شرائح المجتمع من يفقه الإشارة، ويرغب الإدراك فتجرد عن الآثار المريبة، والمفاهيم الغريبة، فإننا نضع مبدأ له ولغيره (الوقاية خير من العلاج) كأحد مبادئ الإسلام في معالجة سلبيات المرحلة.. وما ترتب عليها من آثار وتصورات ومواقف، ويرتفع هذا المبدأ من حضيض الحالة المعاصرة إلى أوج الأمل المرتقب لبناء حياة إنسانية أفضل..

---

(١) سورة الأعراف: ١٧.

إن وضع الحواجز ذات العلاقة بمفهوم الضوابط أمام الناشئة، والشباب، وإحسان استخدام الضبط والربط والإحساس بالمسؤوليّة من جهة، ورسم صورة التفاؤل والابتسامة الهادفة من جهة أخرى حسبما رقمته آداب الشريعة الغراء، شريعة البناء الأخلاقي الرباني راعية الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي السعادة بعينها.. حيث أن الكوابح والمنبّه[1] ومثلهما في عربة القيادة ما وضعت إلاّ لتجسيد مفهوم الوقاية على طريق الانطلاق.. وبحسن استخدام هذه الوسائل تتجنب الرفقة آفات الطريق الطويل.. كما ترسم معنى المسؤولية المعتبرة لفن القيادة..

لقد خلق الربُّ الحكيم إنساناً متفرداً عن بقية مخلوقاته.. وكرّمه وأكرمه؛ ليكون نموذجاً في الخلافة وخليفة في النماذج، ولم يتركه وحده في عواصف الكون، ورياح الأزمنة؛ بل سخّر له كل شيء، وعلمه كل شيء، وانزل له العلم بكل شيء يناسبه ويحتاج إليه.. وكان هذا كله تجسيد مبدأ الوقاية.. حتى لا يتخبط المرء في طريق

(١) **الكوابح**: قوة الايقاف للسيارة عند سيرها، **والمنبه**: الصوت الصادر من جهاز التنبيه.

الانطلاق فيصيبه ما أصاب الأمم التي فسدت وأفسدت. فمنهم من أدركه العلاج فاستقام وعاد إلى التمتع بالحياة.. ومنهم من أخذته عواصف الدمار فشرق بالموت قبل ذوق لذة الحياة..

إذن فما الذي يدفعنا للمغامرة على طريق الانتحار!.. لماذا لا نأخذ بالحيطة والحذر.. ونتأنى في وضع أقدامنا، ونحاسب على موقع خطواتنا المتلاحقة.. ونأخذ بأيدي من استخلفنا الله على رعايتهم، وإنقاذهم من نيران المصير الأبدي؟

إن الشيطان يمنّي البشرية بالسلامة، وهو يقودهم إلى هاوية الجحيم ﴿ **إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾[1]، والبشرية منطلقة بغرائزها ورغباتها نحو إعصار الشهوات واللذائذ مستجيبة لدواعي الجسد وثورة العاطفة.. تلك الشهوات والعواطف التي يؤججها (الشيطان) بإغرائه وإغوائه ليكسر حاجز الوقاية نحو تجربة اللذة الحرام.. ولتكون الكوارث..

---

(١) سورة فاطر: ٦.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]..

إن إحياء مفهوم (الوقاية خير من العلاج) وتمكين جيل الأمة من تجرع مرارة الصبر على التسليك والتأديب، والضوابط والمسؤولية، وإبراز خطورة المغامرات الذاتية والجماعية نحو المحضور على أي صفة كان أو صورة مغرية أو مؤثرة.. بداية مرحلة جديدة، مرحلة تبشر بالتفاؤل من داخل أقبية الوقاية.. ولن تحتاج أجيال الوقاية إلى أسباب العلاج إلاّ لتمد به الغارقين في حمأة الانحدار والضلال والإضلال.. تلئم جراحهم، وتدمل خراجهم.. وهكذا يكون العدل (في مباديء الإسلام والإيمان والإحسان) .

---

(١) سورة البقرة: ١٦٨ - ١٦٩.

قَبض العِلم..
واتخاذ الرؤوس الجهّال وقبض العُلماء

حَرَصَ الإسلام على إيضاح مسلك الأمة، وإبراز الأخطار المحيطة بها عاجلاً أم أجلاً.. ومن أشد ما اعتنى به في هذا المضمار هي ظواهر المراحل..

والمقصود من الظواهر.. هي افرازات التحول المرحلي وما يجري خلالها من ضعف وفتن وتعَثرات، إما من داخل الخيمة الإسلامية أو من دسائس ومؤامرات أعدائها في أهلها..

وقد فصّلت السنة الشريفة « هذه الظواهر » تفصيلاً واضحاً، واعتنت أيّ اعتناء، بظاهرة « قَبضِ العِلم » وما تحمله هذه العبارة من المعاني البعيدة والقريبة المفسّرة حقيقة المُراد الذي يَرمي إليه صَاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم، فقد ورد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه في الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبقى عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علمٍ فضَلوا**

وأضلّوا »[1] ص ٥٢٧ رياض الصالحين وفي رواية أخرى: «**يقبض العلم ويكثر الجهل**»[2]..

والقبض في لغة العرب، يحمل أكثر من معنى، وفي ربطه بمدلول الحديث المعبر عن آخر الزمان يفهم من القبض ما يلي:

١) موت العلماء وذهابهم، واتخاذ الناس من بعدهم رؤوساً جهالاً.

٢) انقباض العلماء في بيوتهم لما يصاحب الزمان من الفتن المضلّة.

٣) قبض العلماء في (إدارات ووزارات) تلزمهم السير وفق السياسة.

٤) قبض العلم، تحوله إلى مفاهيم مقبوضة ممنهجة قابلة للحذف والإضافة وفق المنهج السياسي في المدارس والجامعات.

وكأني بهذه الأمور قد أصابت غالب مجتمعاتنا الغثائية أو كلّها.. والرؤوس والرؤساء، هي ظاهرة المرحلة.. فقد صار غالب هؤلاء العلماء القائمين على الفتوى والقضاء أو الآمر بالمعروف أو غيره يحملون مسميات الرؤساء والرئاسة ومن حيث فهْمنا للمرحلة لا

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧/١) ومسلم (٤٦٣/٢) من حديث أنس مرفوعاً بفظ : « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل.. » الحديث

عيب فيها ولا قدح في شأن حملتها فقد يكون أحدهم جديراً بذلك؛ لكن المقصود هنا هو ما أخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم من جديد المسميات التي تبرز في آخر الزمان حتى تصير إحدى ظواهره..

وأما مفهوم « الجهالة » فاعتقد – والله اعلم – أنه مأخوذ من السَفَه والبَطْر وغَمط الحَقّ بعد علمه.. حيث يكثر هذا النموذج في العديد من حملة العلم المقبوض.. ومن شأن هؤلاء الفتوى والاندفاع إليها بسفه وبطر وعدم تريث، وحيناً بدون علم يتناسب مع حالة الفتوى.. كما يشاهد في زماننا من إطلاق الفتوى الجرئية بشُبَه معيّنة، فيُكفّر هذا ويُشرّك أولئك.. ويصطفي هذا لنفسه وأتباعه الخلود في الجنان.. وسلامة الإتباع لسيد ولد عدنان مع احتقار وسخرية من المخالف الذي كان يجب أن يُدعى إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة..

ومن قبض العلم، تحديد مسار البحوث والدراسات المرقومة، تحت مسمى الشهادات العليا، كالماجستير والبكالريوس والليسانس والدكتوراة بوجهة نظر (الأنظمة والدول، وسِياسة التعليم في تلك البُلدان).. بحيث يتعين على الباحث الالتزام بتحديد مسار البحوث وفق الغاية المرادة.. أو أن يفقد الباحث الشهادة المرجوة..

كما أن قبض العلم تقسيمه في أذهان الأجيال (إلى قسم أدبي مذموم، وقسم علمي محمود) ودفع الشباب إلى الأقسام العلمية باعتبارها أهم أقسام العلوم، وتحقير الأقسام الأدبية لأن فيها التربية الإسلامية واللغة العربية وغيرها من مواد التاريخ والعلوم الاجتماعية، ويعتبرها البعض ملاذ الفاشلين..

ومن قبض العلم (صُدور المؤلفات) المبتورة عن أصولها.. إما بالحذف أو بالإضافة.. وفق منهجية الكتاب المرتبطين بعجلة الفكر الماسخ، وقد برزت هذه الظاهرة كثير في إعادة طباعة كتب السَلَف، وتبنّي بعض المحققين للكتب حذف كلما من شأنه مخالفة الفكرة التي ينتهجها أو تتبناها مدرسته الفكرية، أو تغيير العبارات وتحريفها عن حقيقتها لتوافق المنظور المتبع لديه..

وبهذا القبض المتعدد في المعاني والأساليب والصور والمخرجات تنحدر الأمة على مسارب الانحراف لقبول العلم البديل شاءت أم أبت، وتتهيأ مؤسساتها الرسمية والشعبية ومن يديرها إلى تبني العلم البديل.. والعلم البديل هو (الغزو) بكل معانيه.. وللأسف .

((بُعثتُ أنَا والسَّاعَة كهَاتَين))
زمـانـاً ومـكـانـاً

من أصول الديانة الإسلامية الإيمان المطلق بحضور مفاهيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الزمن الأخير من بعثته إلى قيام الساعة، حيث جمع الله في حيثيات العلم له بين الماضي والحاضر والمستقبل، فلا يجوز أن يعتقد أحد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا علم له بالعلوم الحديثة، وظواهر الاختراع والاكتشاف، وما برز من تطورات الحياة في عصرنا الأخير لأنها لم تكن في عهده..

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم عَرَفَ الظواهر الكونيّة والعلميّة، وما حَدث منها وما سيحدث في مستوى حركة الكون، وظاهر المعرفة البشرية لما فوق الأرض وما في باطنها، وما حَدث وما سيحدث، وهذا ما يفسّره صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: « **بعثتُ أنا والساعة كهاتين، كفضل أحداهما على الأخرى** » [1] وضمّ السبابة والوسطى[2].

---

(١) رواه الترمذي بضعفٍ وله شواهد تقويه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: « **بعثت في نسيم الساعة** »[1]، وفي رواية الترمذي: « **بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى** »[2]..

وهذه الأحاديث بمجموعها تشير إلى ترافق الرسالة مع نسيج المراحل المتقلبة التي برزت من عهد البعثة حتى نفخ إسرافيل في الصور..

وفي هذه الأحاديث ملحظ هام يشير إلى ترافق زمني من ظهور رسول الله، وظهور علامات الساعة ملازمة لوجوده زماناً ومكاناً..

فالفتن والعلامات والأشراط التي زخرت بها مراحل الصدر الأول، كان لعهد الرسالة منها النصيب الأوفر..

كالدخان، وانشقاق القمر، وظهور النفاق، ومسيلمة الكذاب وأشباهه من مدعي النبوة، وهذه فتن وعلامات بدأت منذ عهد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.. اجتمعت معه زماناً ومكاناً..

---

(١) عزاه في كنز العمال (١٩١/٤) إلى أبي أحمد الحاكم في الكُنى عن أبي جبيرة.

(٢) رواه الترمذي بضعف وله شواهد تقويه.

وبعض الآيات والأشراط قد لازمها النبيّ بذكره لهـا وتحـذيره منها، وهي التي جاءت على عهد الصحابة والتابعين وما لَحِقَ ذلك من الأزمان حتى عهدنا وإلى قيام الساعة.

بل ومن دقيق معاني لفظه صلى الله عليه وآله وسلم قوله في الحديث « **بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى** » فقوله « **كفضل** » إشارة في إحدى معاني (الفضل) إلى الزيادة بين هذه وتلك.. فالزيادة في الوسطى على السبابة تشير بمعنى البياني لما تبقى من مرحلة الزمان.. وهي مرحلته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في عمر الحياة الكونيّة، وليست مرحلته مُـدة حَياته فقط.. فهذه مرحلة عمر ذاتي، وتلك مرحلةُ رسَالَة..

وفي معنى الإشارة إلى ترافق « **بعثت أنا والساعة كهاتين** » زماناً ومكاناً..

أي إذا وضعنا السبابة مجاورة للوسطى على شكل أفقي فيدل على ترافق زماني بالعلم والإشهاد، ومكاني بالموقع والمحيط.

فغالب مظاهر علامات الساعة تبرز حيث نزل القرآن، وحيث عاش صلى الله عليه وآله وسلم مِن جزيرة العَرب.. حيث يكون

ذلك أشد فتنة وابتلاءً على القلوب والعقول.. وقد شوهدت هــذه المظاهر جلية في أكثر من علامة وفتنة، ولولا أن ما قد أبرزنــاه في هذا المجال، هو الحدّ الذي ينبغي إظهاره وإبرازه.. والمرحلة لا تتسع لأكثر مما قد ذكرناه، لكان لنا تفصيل وتأصيل لأدقّ مــا دخــل واستشرى من الأشراط، وما نخر ودمر من الفــتن، ومــا وضــح واشتهر من العلامات.. وفي أقدس بقاع القرآن والسنة..

إن كلام السيّد المَعصُوم ليس حِقداً ولا حَسداً لأحد، وإنما هــو حقيقة مرّة[1].. ولكنّها مع مرارتها عين العلاج وســبب العافيــة، والذين لا يعجبهم وضع الدواء على المريض ليشفيه الله مما فيه هــم أولئك المستغرقون في حمأة الباطل، والناهشون جرح هذا الجــسد الضحيّة.. والمستثمرون من وكل وجه حياتــه مقهــوراً وموتــه موتوراً.. وهم أيضاً جنود المدرسَة الأنوية بصورة أو بأخرى علموا أم لم يعلموا حيث لا يستطيع الشيطان أن يخترق واقعاً ويدمره إلاّ

(١) ولأنها حقيقة مرة لا نستطيع أن نجرّعها المجتمع المعاصر دفعة واحدة، حيث صار عكس الحقيقة ما هم عليه، وجزءاً من وعيهم وعلمهم وثقافتهم، ومواقفهم ودينهم وتدينهم.

بالاستقطاب لرموز الحركة وخاصة من عَنَتهُم الآية في أحد معانيها ﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾[1]..

والعجيب أن الإنسان في حال غوايته يعتقد، ويترسخ في ثنايا فهمه عند شعوره بالانطلاق والنجاح واستغنائه عن الغير أنه على طريق سواء، وأن ما يفعله ويقوله هو الصواب بعينه ولو من بعض الوجوه. فيحمله الاعتقاد الظنّي على ظلم الآخر وبتره واجتثاث كل شيء يحمل اسمه ورسمه وعاداته وحتى عباداته.. ليعود هو ومن معه من الأتباع، وزمر الانتفاع إلى معادل مشابه، ومستنقع موحول..

هكذا تكون المشكلة في محيط العلاقات والفتن والأشراط، وهكذا يفسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجتمعات الغثائية، ومجتمعات الذلّة والوَهَن وحُبّ الدُّنيا..

نَسألُ الله العَفو والعَافية والمُعافَاة الدَائمة في الدِّين والدُّنيا والآخرة..

---

(١) سورة الناس: ٥.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾..

نموذج القراءة الحضارية

لا شك أن كافة الحضارات الإنسانية كانت على جانب كبير من الثراء العلمي المادي.. وكان لها إسهام كبير في تحريك الطاقات، وبروز نماذج الإبداعات القديمة والحديثة..

ونحن في عصرنا اليوم نشهد أيضاً المستوى الأعلى من تطور الحضارة الإنسانية، واختراقها الفضاء الكوني، وأعماق النفس البشرية.. ولم يشك أحد بأننا جميعاً عالة في الصناعة والزراعة والعلوم التطبيقية والنظرية على تلكم الدول الحديثة ذات العلاقة المباشرة بالتصنيع والتكنولوجيا المتطورة يوماً بعد يوم.. حتى طغت لغتها العالمية على كافة اللغات البشرية.. وخفت أمامها كل صوت فاعل.. وتضاءل كل ذي معرفة وديانة.. حيث لم يعد للروح موقعاً مؤثراً في نفوس الأجيال المصدرة عبر هذه المدارس والجامعات، وإن وجد بقية من تأثير فمحدود جداً في التعبد الذاتي والموقف الشخصي.. ومن هنا اعتقد الجلّ الأوسع من الناس أن الدين الإسلامي مجرد طقوس روحية، وعودة إلى النفس وعزلة عن الحياة،

واستعداد محض للآخرة ولا غير..

والحقيقة المسكوت عنها أن الدين الإسلامي يعتني اعتناءاً بالغــاً بهذه الثوابت، ويُلزم أتباعه بطقوس العبادة الــشرعية، والعــود إلى النفس لإصــلاحها، ويــدعو إلى الاســتعداد المحــض للآخــرة، والانصراف من زينة الحياة الدنيا.. ولكنّ هذا لا يعني توقف الأمر عند هذا كما يدّعي المغرضون والكاذبون.. بل يتعدى هذا الجانب إلى أعظم من كل ما يدّعيه حملة العلوم، ومفكرو الحضارة.. إنهــا قضية التأصيل لهذه العلوم، وإبراز منطلقها الــشرعي مــن واقــع الإسلام، وأن الإسلام دين الإذن العالمي ببروز المرحلة الأخــيرة في العالم.. مرحلة التطور العلمي والتطور الشرعي الروحي(١)..

وإذا ما تخلينا نحن المسلمون عن نمــاذج الإدخــال الإعلامــي المسيس، وتأملنا بموضوعية وإدراك أول آية نزلت في عالمنا الإنساني الأخير عصر الرسالة المحمّدية لوجدناها ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾(٢) وهي الآيات الأولى التي حملت تدشين مرحلة (المعرفة الحضارية بكــل

---

(١) مرحلة بروز الألفية الثانية في العالم مرحلة نمو الإسلام وتصدره العالمي في تاريخ الحضارات الإنسانية بلا منازع.

(٢) سورة العلق : ١.

صورها القديمة والحديثة) وحددت منذ تلك اللحظة النورانية تغيير لغات الحضارات، وتوجيهها نحو قراءة ذات مدلول شرعي ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾[1]..

لقد برزت حضارات الإنسانية كلّها في العالم الأرضي لتقرأ بأسماء متنوعة ليس فيها « اسم الربّ » سبحانه وتعالى.. بل انتحرت أمم حضارية، وتجاوزت قراءة الحضارة باسم الرب إلى قراءتها باسم العقول والمادة، والإلحاد، والكفر، وعقيدة التثليث، والصليب، وقرئت لدى آخرين بأسماء الظواهر والكونيات، وبأسماء الحيوانات، وعناصر المادة، وباسم الشيطان.

ولأن هذه القراءات جميعها مبنية على جُحود الإنسان للمسبّب منيت بالفشل الذريع في منهجيتها الحياتية (ووصمها المرقوم القرآني، وصمة عار) ووصم معها كافة النماذج المشابهة لها بعد نزول القرآن، وبعد تجديد مدلول القراءة في العالم.. ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة العلق:١.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥.

وحتى الديانات العالمية قبل الإسلام كاليهودية، والمسيحية، توقف العمل الشرعي فيها، وتحول المبدأ القرآني من داخلها إلى قراءة كافرة على يد مهندسي المعارف والمفاهيم، ولهذا وصمتها الآيات القرآنية بالفساد، ووصفت أتباعها من اليهود والنصارى بالكفار والمبدّلين والمحرفين والمغضوب عليهم والضالين..

وهدّد القرآن الكريم، وهو الحُجة العَالميّة في الأرض على الأمم كلّها كافة المنتسبين للحضارات قديماً وحديثاً أن (يعيدوا النظر في ثوابت قراءهم لتنطوي ضمن التجديد الرباني في العالم بلغة القرآن) ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾[1] فلم ينصت لهذا النداء غير بعض الأفراد.. أما ذات المدارس الحضارية المنحرفة فبقيت على صورة الانحراف التقليدي مع تحدّ وتجاوز مهين..

ولهذا فإن (مفهوم الحضارة) مقيد بالإذن الرباني في العالم.. هذا من وجهة نظر الأديان.. أما من وجهة نظر الشيطان وأتباعه فلهم قراءة أخرى، وثوابت أنوية إبليسية معاكسة، شملت فيما شملت تحريف نصوص الكتب السماوية ذاتها.. وتعسف المفاهيم

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

والتكذيب بالرسل وقتلهم بغير حق...الخ ، ما أورده القرآن من محاكمات الأمم من سابق الملل والنحل..

ومن هذا المنطلق نعتقد جازمين أن كافة الحضارات قد أخفقت في تجسيد مراد الله في كونه الفسيح، وعملت على تجسيد مراد الشيطان ومشروعه الأنوي الإبليسي على شكل ثلاثي:

(الشيطان+ الكفر+ الدجال= المدرسة الحضارية الإبليسية الوضعية).

ولهذا فقد حقق الله تعالى للعالم بأسره مَطلَب الحق في إعادة القراءة العالمية بإسمه منذ أن أنزل القرآن.. وكانت لُغة عالمية شاملة لم تتحدد في جزيرة العرب، ولا في جنس المسلم أو المؤمن؛ بل جاء الخطاب القرآني عالمي الأبعاد ﴿ **ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ** ﴾[1]..

---

(١) سورة العلق: ١-٥.

وشرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ تلك الساعات الأولى وهو يتفهم المراد الرباني العالمي، ويرسي قواعده القرآئية مرحلة بعد أخرى مواجهاً الثلاثي المنحرف:

مشركي العرب وقريش	اليهود والنصارى (أهل الكتاب)	المنافقين والمرجفين
الوثنية	التثليث	النفاق والذين في قلوبهم مرض

وكادت الآيات الأولى من الكتاب المقدس (القرآن) تستوفي ثلاثي الأبعاد الحضارية العالمية التي جاءت بها الرسالة الخاتمة :

القراءة باسم الرب	عالمية القراءة بالوسائل	عالمية العلم
اقرأ باسم ربك	الذي علم بالقلم	علم الإنسان ما لم يعلم

وأفرزت هذه المعاني القرآنية حدود المنطلقات الزمانية للمعارف المادية والروحية اللاحقة محجمة كافة المعارف التقليدية الميّتة التي أبت التوحيد الخالص.. وفاتحة باب الإطلاق الواعي لجديد

التطورات والعلوم ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾..

فكانت مراحل المعرفة تتوالى في العالم الإنساني الأخير تحت هذا المبدأ الرباني الخطير ولا بديل عنه ولا تغيير..

والكافرون من كل وجه هم أولئك الذين أحيوا مدرسة الأنوية الإبليسية فنـــزعوا عن القراءة الشرعية ثوابتها وسموها بغير اسمهـــا، وجاءوا بحضارة المادة المجردة لتحل بديلاً عن القراءة باسم الربّ.. وتفنّنوا عبر تاريخ التحولات لصرف عقول الأمم بما فيهـــا أمـــة الإسلام، أمة القرآن والسنة عن مراد الله في قـــراءة الحـــضارة إلى مرادات الثلاثي المنحرف:

الشيطان الكفر الدجال

والقرآن والسنة، وهما المرقومان العالميان للقراءة الجديدة باســـم الرب، قد تناولا تاريخ الانحراف القديم والجديد وفصّلاه تفـــصيلاً واضحاً ومتطوّراً.. ووضعا للأمة الإسلامية في قمة الحياة الاجتماعية وقاعدتها أسس الطريق وثوابت العلم والعمل والحياة.

وأثرت من هذه القراءة وتفردها التوحيـــدي عقيـــدة مدرســـة الحضارة الإسلامية، وتفاعلت مع رقوم ورسوم الحضارات الميّتـــة

وأحييت من خلالها، وباستيعاب ثوابتها التجريبية (تسخير المادة) (وطول الملاحظة)، (وانفعال الظواهر)..

سواء كان ذلك على أيدي المسلمين أنفسهم وخاصة في بداية مراحل التأسيس الحضاري.. أو على أيدي العلماء من غير المسلمين حيث منح القرآن المعرفة العلمية (للإنسان) وليس المسلم وحده.. ويقصد بالإنسان آدم في أول تعليمه الأسماء كلها.. وتحديد هذا المعنى في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قيل له: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ﴾[1]، ثم انتشار معنى الإنسان في الصنف البشري المعمق في مدلولات القراءة بعمومها.. حتى أَبَلَغَ القرآن مسألة (التعمق الكافر) إلى درجة الإحراج عند التحدي بقوله: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾[2]..

وبهذا المفهوم القرآني الواعي تدرك أمة الإسلام مسؤولياتها التاريخية في المرحلة المعاصرة؛ لنتفهم شرف القراءة العليا التي أذن الله

---

(١) سورة النساء: ١١٣.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

بها في هذا العالم لتكون فاتحة المرحلة العالمية الأخيرة.. عالمية الإسلام، لا علمانية ولا علمنة ولا عولمة الكفر والكفار..

((مَن أحَيا سُنّتي عِند فَسادِ أمتي فَلهُ أجرُ مَئةِ شَهيد))

هناك العديد من الومضات النبوية ذات العلاقة بتجديد مفهوم الديانة والتدين على أصولها الأولى..

فحديث « **من أحيا سنتي عند فساد أمتي**.. الخ » حديث فهمناه على مدى تاريخ حياتنا المعرفية بما هو مألوف من السنة القولية والفعلية والتقريرية، وكلّ من أحيا رُسوم العِلم والتعليم الشرعي دخل في هذا المدلول أو انحصر فيه دون غيره.

وعندما نأخذ مفهوم السنة المشار إليها في الحديث بمعنى المواقف « **ألا إنه من يَعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً** » كما هو في حديث: « **فعليكم بسُنّتي وسنّة الخُلَفاء الرَّاشدين المهدِّيين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ** »[1] برز المعنى الهام والواسع من مدلول الحديث..

فالإحياء للسنة عند فساد الأمة.. إنما يشير لحالة من حالات الأزمات الأخلاقية والانحراف التي تشمل القمة والقاعدة حتى يؤدي

(١) رواه ابو داوود والترمذي.

ذلك إلى الهلاك والقتل والتصادم والفشل بكل معانيه حتى بين حملـــة (العلم بكل صوره) فيحتاج عندها المجتمع إلى (مواقـــف أخلاقيـــة) وهذه المواقف ليست ناتجة عن سياسة المرحلة أو ظروفها.. وإنما ناتجة عن تجديد مفهوم النصوص إلى ما يبرز مواقف النبي ذاته من مفهـــوم الفساد، وكيفيات معالجته بالصبر والحلم والتجاوز والعفو والإحسان والبر والإغضاء، وكل ما فيه إحياء العلاقات السلوكية المؤديـــة إلى المودة والرحمة والمحبة والسلام.. وما تعنيه أيضـــاً الآية : ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾(1).

والأجر العظيم المقرر في الحديث « **فَلَهُ أَجرُ مئة شـــهيد** » هـــو الذي يبين عظمة العمل المقدم من المحيي لهذه السنة..

فالمطلب الإنساني للمسلم أن ينال ثواب شهادة واحدة، وهي التي تتأتى عند دخول المرء إلى الجهاد في سبيل الله، وهي أيضاً عظيمـــة حيث لم ينلها حتى بعض الذين قاتلوا في صفوف المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف ينال المرء أجر مئة شهيد إلاّ

(1) سورة النساء: ١١٤.

وأن العمل المؤتى يستحق ذلك، حيث يشير المعنى إلى خطورة تظافر الناس على الإفساد في آخر الزمان، والتعاون في سبيله. فتُسَال الدماء المظلومة، وتنتهك الأعراض، وتتعطل مكارم الأخلاق كما سبق ذكره.. فيكون في هذه الحالة كل متبرع لله في جمع الكلمة، وإصلاح ذات البين، وتوحيد الصف، وسد ثغرات الإفك، وإبطال مشاريع الكفر والدجل والشيطان.. مستحق بذلك ثواب مئة شهيد كاملة.. لأن في مواقفه إحياء لمنهج، وإحياء لأمة، وإحياء لسنن تجاوزت حدود الزمان والمكان.. وهذا ما نحن بصدده.

فالفهم الواعي المتلائم مع تطور الإنسان ذاته يلزمنا أن نأخذ بالجادة في إدراك مفهوم السنن النبوية، ونفهم معنى الأجر على قدر البذل.

وقد عرفنا أن مفهوم السنة هذا هو (الموقف) فالذين يحيون المواقف الشرعية عند إحتدام الفتن وخاصة عندما تكون الفتنة في الدين (كالاستدلال بالسنة للتفرقة، والعنت، والنقض، والقبض) فالموقف الملائم لهذه الفتنة، وامتصاص هذه المحنة، وتحجيمها، وتجميد آثارها مرتبة عظيمة في الجهاد..

وفي الحديث ملحظ خفيّ يعضد معنى الحديث السابق « **أفضلُ**

الجهادِ كَلمةُ حَقٍّ عند سُلطَانٍ جَائر » وهو قوله: « **فله أجر مئــــة شهيد** » حيث أن الشهداء لا تسيل دماؤهم إلاّ في الجهاد في سبيل الله، فيكون إحياء مواقف السُنن النبوية أخلاقاً، وحسنَ معاملةٍ مع الغير من الأضداد والأنداد، مرتبة جهاد مضاعفة ومتعددة الثواب..

والجهاد في سبيل الله للدين والديانة، وإماتة الكفر، والخيانة وهــــو مطلب فرضي واجب.. إلاّ أنه ليس في كل الأحوال يعني (السيف والقتال) فعندما يكون (الغرض المراد) ممكن الحصول بالكلمـــة الطيبة والموعظة الحسنة فهي (لون من الجهاد) وربمـــا ضُـــوعِفَ الأجر والثواب لمثل هذا العمل الخير كمثل من يقتل مئة مـــرة.. أو أن ينال ثواب مئة مجاهدٍ في سبيل الله. كما ورد في نص الحديث..

بنو إسرائيل بين .. عطاء الله وجحودهم :

لا زال كتاب الله شاهداً حضورياً على انحراف العصابة من (أمة اليهود) أهل الكتاب، وأن انحرافهم جاء ثمرة من ثمرات سوء أعمالهم، وفساد نياهم، وغلبة طباعهم، واستحواذ الشيطان عليهم.

والقرآن زاخر من أول آياته بصور العَطَاء الرّباني، وسوء المقابلة من هذا النموذج الإنساني.. وسنتناول هنا مثالاً من هذه الأمثلة القرآنية المؤكدة اهتمام التبيان عن هذه الأمة، وفساد تصورها، وسوء معاملتها سواء مع الحقّ سبحانه أو مع أنبيائهم أو مع سائر الناس..

التذكير بالنعم

١) ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1]..

٢) ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[2]..

---

(١) سورة البقرة: ٤٧.

(٢) سورة البقرة: ٤٩.

٣) ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[1].

٤) ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2].

٥) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3]..

٦) ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: ٥٠.

(٢) سورة البقرة: ٥٧.

(٣) سورة البقرة: ٥٨ .

(٤) سورة البقرة: ٦٠.

٧) ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]..

ومع هذا النموذج من الآيات المعبرة عن نعم الله لهذه الأمة (من أهل الكتاب) يبرز في الصورة المقابلة مواقفهم السلبية التي أداها الله في آياته ومنها:

(مخالفة القول للفعل)

١. ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[2].

(نكث العهد في العقيدة)

٢. ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[3]..

---

(١) سورة البقرة ٦٣.

(٢) سورة البقرة: ٥١.

(٣) سورة البقرة: ٥٥.

(المطالبة بالمستحيل)

٣. ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[1].

(التحريف للأمر الإلهي)

٤. ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[2].

(رفضهم لاختيار الله وتأصيل إختيارهم)

٥. ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾[3].

٦. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾[4].

٧. ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة:

(٢) سورة البقرة:٥٩.

(٣) سورة البقرة: ٦١.

(٤) سورة البقرة: ٦١.

(٥) سورة البقرة: ٦٥.

٨. ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[(١)].

٩. ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾[(٢)].

(تحريف كلام الله عمداً)

١٠. ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[(٣)]

١١. ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾[(٤)]..

١٢. **(الافتراء على الله في شؤون الآخرة)** ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[(٥)].

---

(١) سورة البقرة: ٧٤.

(٢) سورة البقرة: ٧٦.

(٣) سورة البقرة: ٧٩.

(٤) سورة البقرة

(٥) سورة البقرة: ٨٠.

١٣. (مخالفة قوانين الأنبياء في شؤون الحياة) ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (١).

١٤. (معارضة الانبياء وايذاءهم) ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٢).

١٥. (تصريح الحق بكفرهم واستحقاقهم للّعن) ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

١٦. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٤)..

---

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) سورة البقرة: ٨٧.

(٣) سورة البقرة: ٨٨.

(٤) سورة البقرة: ٨٩.

١٧. **(إيمانهم بكتابهم ورفضهم للكتب السماوية الأخرى)**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (١).

١٨. **(المخالفة بعد الإنذار)** ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ (٢).

١٩. **(نقض المواثيق وعصيان الأمر وحب الدنيا)** ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٣).

٢٠. **(الحرص على الحيـــاة)** ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ (٤).

---

(١) سورة البقرة: ٩١.

(٢) سورة البقرة: ٩٢.

(٣) سورة البقرة: ٩٣.

(٤) سورة البقرة: ٩٦.

٢١. **(نبذ العهد بعد الإبـــرام)** ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[١]..

٢٢. **(تجاوز الوحي السماوي وايقاف العمل به)** ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٢]

٢٣. **(إتبـــاع الـــشيطان)** ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ ﴾[٣].

٢٤. **(سياسة الاحتكــار)** ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٠.

(٢) سورة البقرة:١٠١.

(٣) سورة البقرة: ١٠٢.

(٤) سورة البقرة: ١١١.

٢٥. **(تفعيـــل الـــصراع الإعتقـــادي)** ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾(١)..

٢٦. (الكبر الذاتي والإشتراط على الأنبيـــاء) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾(٢).

ومع هذه الانحرافات التي قررها القرآن في هذه الأمة الظالمـــة.. أبرز المولى ما يسعى إليه هؤلاء في إفساد حال أمة القرآن أيضاً، وما يجول في خواطرهم، وما يدبرونه من حيل وأساليب ووسائل:

---

(١) سورة البقرة: ١١٣.

(٢) سورة البقرة: ١١٨.

١. ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[1].

٢. ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[2].

٣. ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾[3].

ويقرر المولى حال فساد (أهل الكتاب) ومـــا يتوجهـــون إليه. ويوجه الحق هذه الأمة إلى الطريق السوي قائلاً لهم:

١. ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٥.

(٢) سورة البقرة: ١٠٩.

(٣) سورة البقرة: ١٤٢.

(٤) سورة البقرة: ١٤٣.

٢. ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾[1].

٣. ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَ﴾[2].

٤. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[3].

٥. ﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ ﴾[4].

٦. ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖ ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: ١٤٤.

(٢) سورة البقرة: ١٤٥.

(٣) سورة البقرة: ١٤٦.

(٤) سورة البقرة: ١٥٠.

(٥) سورة البقرة: ١٣٧.

الثالوث الوبائي

الثالوث العدوّ (الشَيطان – الكُفر – الدّجال)

اعتنى القرآن، وكذلك السنة الشريفة بتطعيم وتحـــصين الأمـــة الإسلامية من خطر الثالوث الوبائي القاتل.. هذا الثالوث الذي بدأ بالعدوّ الأول الشيطان.

العدو الأول الشيطان :

وقد ورد في آيات الله تعالى إشارات بينات للاستعاذة منه، منـــها قوله:

١. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(1).

٢. ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ (2).

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠٠.

(٢) سورة المؤمنون: ٩٧ -٩٨.

٣. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[1].

وهذه الاستعاذة دفاع حصين من شر اختراق الشيطان كافة شؤون المستعيذ بالله.. حيث لا قوة تمنعه عن الاختراق والوسواس إلاّ الاستعاذة..

وفي هذا الحديث الشريف إشارات ولمحات تؤكد خطورة اختراق الشيطان لبني الإنسان، وأن أقوى التحصينات هي الاستعاذة[2]، وقراءة القرآن من مثل ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة مع أسيره الذي داهمه ثلاث ليال، وفي الليلة الثالثة رصده أبو هريرة، وقال : **لأرفعنّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: دعني أُعلمُكَ كلمات يَنفعُكَ اللهُ بِها، قُلتُ: ما هنّ، قال: إذا أويتَ إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ**

(١) سورة فصلت: ٣٦.

(٢) مثل قوله صلى الله عليه وسلم: « **أعوذُ بكلماتِ الله التّامَةِ مِن كُلِّ شيطانٍ وهامةٍ وعينٍ لامة** »..

إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ حتى تختم الآية، فإنّك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح..

قال: فَخليتُ سبيلَهُ فأصبحتُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارحِة » قلتُ يا رسول الله: زَعَمَ أنّه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليتُ سبيله.. « قال ما هي؟ ».. قلتُ: قال لي.. إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ... الخ ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يصيبك شيطان حتى تصبح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمَا إنه قَد صَدقَك وهَو كَذُوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ».. قال.. لا.. قال.. « ذاك الشيطان »[1]. وفي حديث مرفوع « إن الله كَتَب كتاباً قبل أن يَخلقَ السماوات والأرض بألفي عام فأنزل منه هذه الثلاث آيات التي ختم بهنّ البقرة، من قرأهنّ في بيته لم يقرب الشيطان بيته ثلاث ليال..»[2].

(١) الحديث بتمامه في صحيح البخاري (٤/٦١٢، ٦١٣).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٤/٢٣٥) .

وقصتنا مع الشيطان أزلية.. بدأت منذ فجر الخليقة.. وبرغم أنها حكمة ربانية في تنازع الأضداد وإبتلاء ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[1].. إلاّ أن خالقنا سبحانه، قد أوضح السُبُل للأمة في شأن خطورة (الشيطان)، وأبرز في عشرات الآيات وظيفته الشرية في العالم.. وما يجب علينا نحن المؤمنون بالله أن نفعله تجاهه، حيث أن قوته الفاعلة لا تكمن في قدراته ووسائله، وإنما ترجع إلى جهلنا وغفلتنا وتأثرنا بإغوائه وإغرائه.. فالمعركة قديمة، ووسائل الحرب لم تعد تقليدية؛ بل أن (الشيطان) قد طور ولا زال يطور أساليب الإغراء والإغواء والتزيين، لإيقاع الإنسان البشري في حبائله.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2]. فإذا كانت القصة المروية في الحديث الشريف آنفاً مع أبي هريرة وما فعله الشيطان من أسلوب خطير في التمويه والدّجل والحيلة للنيل من طعام الصدقة، وقدرته الغريبة في اختراق منزل أبي هريرة متمثلاً في صورة فقير محتاج، ولم يفطن أبو هريرة رضي الله عنه رغم علمه وبصيرته لهذا

---

(١) سورة الملك : ٢.

(٢) سورة فاطر : ٦.

الزائر الشيطان؛ بل عرفه بعد أن كشف هويته صلى الله عليه وسلم. فإننا لا شك نجد أن هذا المخلوق (لن يتأخر) يوماً عن فعل مثل هذه المسرحية، وبأكثر من منظر ومظهر مستغفلاً (الرجال والنساء) داخل المنازل والمخادع، وسالباً منهم أكثر مما سلبه من (أبي هريرة) حيث أن الشيطان خاف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكشف حاله فعلَّم أبا هريرة (آية الكرسي) ليخلص منه ألاّ أنه اليوم لن يخاف من أشباهنا وأمثالنا.. ولن يعلمنا ما نتحصن به؛ لأنه قد أمن غائلة الكشف عن هويته فلا شكّ أنّه سيَنال الكَثير والكَثير.. وربّما لن يكون طعاماً ولا شراباً.. بل قد يكون أكثر من ذلك.

العدوّ الثاني.. الكفر:

والكفر، هو موقف الشيطان عشية رفضه السجود لآدم.. قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1] فمرجع الكفر إبليس وموقفه من آدم عليه السلام.. وبين (الشيطان والكفر) تلازم وعلاقة؛ بل صار الكفر بكل ما يحمله من جنوح سياسة الشيطان، ومنهجه

(١) سورة البقرة: ٣٤.

العلمي والعملي في العالم.. وقد عبر صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا الرباط الخطير بين (الشّيطان - الكفر - الدّجال) بقوله « **ما من فتنةٍ من عَهد آدم إلى قَيام السَاعة إلاّ وهي تَضعُ لفتنةِ المسيخ الدّجال** ».

فالكفر في مسيرته العالمية هو مذهب الانحراف الشيطاني، وأول كافر من بني آدم كان (قابيل) أي أنه أول من نحى في مسلكه مسلك الشيطان، وخالف منهج والده.. وبدأت مسيرة (الكفر) في المخلوق الآدمي بقابيل وذريته، وعمل قابيل على تنفيذ منهجية الكفر في حياته كلها (كالقتل، والنهب، والزنا، وعبادة النار، وعقوق الوالدين، والكفر بالله، وترك ما أوجب الله عليه).

ولهذا اتخذ والده (آدم) من بعده عهداً على أبناءه الصالحين مقاطعة قابيل وذريته. أن لا يؤاكلوهم ولا يشاربوهم ولا يناكحوهم كما ورد في كتب الآثار[١]، وفي عهد نبي الله (شيث) -ولد آدم- نزل من أعالي الجبال نفر إلى سواحلها حيث يقيم قابيل وذريته ففسدوا وتواتر الفساد بعد ذلك في أعداد ممن لَحِقَ بقابيل،

---

(١) راجع تاريخ الطبري، وابن كثير في البداية والنهاية.

وقد أهلك الله هذه الذراري الكافرة بطوفان نوح عليه السلام، وهو القائل عنهم: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴾[1]..

وعادت أمم من ذرية نوح إلى الكفر وعبادة الأوثان.. وقد تولى القرآن الشرح التام لهذا الكفر الصريح لدى الأمم.. والمقصود من هذا الكفر الصريح هو ارتضاء منهج الشيطان، ونبذ منهج الرحيم الرحمن.. ولم يزل (إبليس) لعنه الله مجتهداً في إغواء الأمم جيلاً بعد جيل إلاّ من عصم الله وحفظ حتى جاءت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والعالم على ثلاثة اتجاهات:

١. أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد كفروا بالله وحرفوا كتبهم وقتلوا أنبياءهم.

٢. أمم وثنية من أجناس البشر اتخذوا لهم آلهة من المخلوقات كعبادة الشمس والقمر والنجوم والحيوان والذوات

٣. مشركي العرب وقريش وهم عُبّاد الأصنام.. وأهل الأزلام وتبتيك الأنعام، ودمغ القرآن منهج الكفر من كل الوجوه.

---

(١) سورة نوح : ٢٦ – ٢٧.

ولم يترك لكافر حجّة، وربط بين منهجية الكفر والشيطان كما هو في سابق العهد لدى أهل الرسالات.. ومن ذلك قول إبراهيم لأبيه.. ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾[1].

وفي حكاية القرآن عن سليمان عليه السلام، وردّ تهمة بني إسرائيل بكفره، قال تعالى ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾[2]..

العدوّ الثالث: الدّجال :

وهو إنسان من (اليهود)، ولليهود ريادة في عالم الكفر والجنوح عن الأديان.. وقد تناولت السنة الشريفة أخبار الدجال، وأكدت وجوده في العالم الإنساني كذات وليس كمرحلة أو نظام.. إلاّ أن الاستقراء والمتابعة الواعية لمرقومات الشريعة أفصحت عن شخصية الدّجال، وعن ما يكون من بين يديه إفصاحاً يبرز خطورة الثالوث الوبائي كله، ويجعل الحلف الثلاثي ضد الإسلام والمسلمين يتخذ أشكالاً من: التمويه، والدّجل، والخديعة، حتى ينطلي الأمر على كثير

---

(١) سورة مريم: ٤٤.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

من الناس، وتتبنى (الأنظمة، والحكـــام، والعلمـــاء، والمؤســـسات، والشعوب) أساليب (الثالوث) بمسميات حضارية وعلمية جديـــدة، وربّما تكون جديرة بالاهتمام والدراسة، ودوام المتابعة حتى يتـــضح للمتابع والمستقرئ طريق النجاة في الدنيا، والسلامة من هول الآخرة..

وقد اختلف العلماء في شأن الدجال وذاته وتوقيت بروزه ومـــا يكون من أسباب الحريات التي يتبناها في العالم كجزء من أيدلوجيته العالمية للتمهيد المنتظر لظهوره الأخير.. وهذه مُـــسلّمات تجـــب متابعتها في مواقعها من السنة الشريفة[1] حيث أكد النبي صلى الله عليه وسلم (عالمية الفتنة وخطورة الانحراف) سواء بالنسبة لخدمة سياسة الكفر الشيطاني، أو ما يؤديه لمصلحة الكافر طابور المنافقين والكافرين الملتزمين لمنهجية الشيطان في العالم، والمعبرين عن مظاهره الأنوية الإبليسية بعلم وبغير علم..

وقد ابتلى الله الأمة بالدجال ومنهجيته العالمية.. إذ هو المستثمر الفعلي للثنائي العدوّ (الشيطان والكفر) أو بمعنى أدق هو المخلوق

---

(١) تابعنا هذه المسألة في كتابنا (بين يدي الدجال) مطبوع، و (التّليد والطّارف في فقه التحوّلات وسنّة المواقف) مطبوع.

البشري المستفيد من تحريك العالم الإنساني نحو عبـــادة الـــشيطان بمنهج الكفر وأيدلوجيته الحضارية المتطورة:

١. الكفر بكافة أنواعه.

٢. النفاق.

٣. انحلال المرأة.

٤. المعاصي.

٥. أكل الحرام السحت.

٦. إضاعة الأوقات.

٧. إتّباع النفس والهوى والدنيا.

٨. تحريف سنة الحكم وسنة العلم.

وقد تولت (عصبة العمل الشيطانيّة) دبلجـــة وتحـــسين وتزيين هذه الجنوحات لتتناسب جرعات قبولها مع العقل الإنساني المسلم وغير المسلم، ومع ترويض العقلاء والملتزمين بالديانات حيناً بالترهيب أو الترغيب أو الخداع أو التزييف أو الترويج والدعاية، أو بالتأثير على (المرأة – الطفل - الشاب) حتى يقبل مـــا لا يقبلـــه الرجل الواعي والمسن الذي قد اكتوى من قبل بنيران الـــشيطان، كما تطورت وطوّرت وسائل وأساليب التأثير النفـــسي والعقلـــي

والعاطفي والجسدي بما لا مزيد عليه..

وقد ثبت بالاستقراء والملاحظة الدقيقة أن ما سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم (بالقبض والنقض، والإفراط والتفريط، والأشراط، والعلامات، والفتن ومضلاتها، والغثائية ومظاهرها من الوهن وحب الدنيا وكراهية الموت، ونزع المهابة من صدور العدو، واستتباع سنن الأمم الذين من قبلنا) وحددهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باليهود والنصارى، والدخول نحو جُحر الضبّ جهلاً واستتباعاً.. والكاسيات العاريات المائلات المميلات، وظهور أقوام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، ورمي المسلم للمسلم بالشرك، وفتنة المشرق، والهرج والمرج، والرِّبا الحرام ودخوله كل بيت ومن لم يدخله أصابه غباره، والميسر (القمار) والغنا والخنا، وشرب الخمر وفشو المخدرات والمسكرات، والتطاول في البنيان، وعبادة العِجل، وإنتشار القطيعة والعقوق والفساد الأخلاقي بكل صوره ومعانيه، والمُلك العضوض، ونقض الحكم الإسلامي، وتكالب الأمم، وامتلاء الأرض جوراً بكل نماذجه.. وغير هذا من الظواهر التي يطلق عليها في مرحلتنا المعاصرة بأسباب التطور والتقدم ونماذج الحضارة.. وكلها ومثلها هي برنامج الدجال العالمي الفاتك.. وقد

لخصناها في ثلاثة محاور عمل الشيطان، والكفر، والدجال على رسمها في العالمين العربي والإسلامي ليستثمرها العدوّ الثلاثي عبر مراحل التاريخ، وهي:

- **العلمانية**: وبدأت مع بروز الثورة الصناعية، وشمول مرحلة الاستعمار.
- **العلمنة**: بعد سيطرة الثالوث على مقدرات الأمة، والعمل على تطويع العقل الإسلامي، وتطبيعه لقبول السياسة الكافرة في الاقتصاد والسياسة والاجتماع وبقية العلوم.
- **العولمة**: استثمار المرحلتين، واحتواء العالم ضمن النفوذ الثلاثي، وإعلان الحرب السافرة ضد الديانة الأخيرة (الإسلام).

وإذا ما دققنا في حشد الوسائل المسخرة لهذه الأغراض وأثرها وفاعليتها في المجتمعات.. لعرفنا بعد ذلك سرّ قوله تعالى:﴿ **فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا** ﴾(1). ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا**

(1) الطارق: ١٧.

﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]..

ولا زال برنامج (الثالوث الوبائي) يعمل على نشر سمومه، وسياسته العالمية تحت (أطر ومجموعات وقوى) ذات ارتباط هيكلي متنامي مهمتها الحرب العالمية ضد الخالق سبحانه مستفيدين من (المهلة التي أمهل الله فيها الشيطان)، والوعد الذي أوعده له بإطلاق سلطته على الغاويين والمتبعين له ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[2].

والغرور المشار إليه في الآية هو عينه المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[3].. ولكن الاستثناء المحمود لعباد الله المحفوظين من الشيطان والملتزمين بشروط الديانة، وحفظ

---

(١) يونس: ٢٤

(٢) الإسراء: ٦٤.

(٣) آل عمران:١٨٥.

الأمانة هم جند الله الصابرين في كل عصر وزمان ومرحلة.. هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[1]..

وهم الذين يعملون خلال تقلبات المراحل على إبراز النمـــوذج الصالح من القدوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وآله وســـلم، ونشر الأخلاق الشرعية، وإقامة الواجبات، والانتهاء عن المحرمات والذين يفعلون الخير ابتغاء مرضات الله.

ولن ينقطع خطر (الثالوث الوبائي) حتى يبلغ مداه ويستفحل ويفشو، والمعصوم من عصم الله والمحفوظ من حفظ الله، وقد علّمنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الآيات العشر الأول مـــن ســـورة الكهف، وأنها تعصم المسلم من فتنة الدجال، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: « **من حفظ عشر آياتٍ من أول ســـورةِ الكَهـــف عُصِمَ من الدّجال** »[2]..

(١) الحجر: ٤٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٦/٣٤٠نووي) وأبو دواد (٥/٤٨) وأحمد في المسند (٦/٤٤٩) كلهم من حديث سالم بن أبي الجعد عن معدان، عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال».

وعنه أيضاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « **من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال** »[1]..

وقد علمنا أن هذا الثالوث عالمي الفتنة عالمي الامتداد، ولهذا نجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يربط بين الحوادث وبين العلامات البارزة في المراحل.. وخاصة بعد بعثته.. حيث أن أغلبها إنما تشير إلى حصول الانحرافات في العالم كله.. ومنها :

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٤٦/٦) : ثنا محمد بن جعفر وحجاج، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، قال : حجاج في حديثه سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « من قرأ عشر آيات من آخر الكهف عصم من فتنة الدجال » قال حجاج: من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف. وقد ذكر هذه الرواية مسلم في صحيحه (٣٤١/٦نووي) وأبو دواد (٤٨/٥) والمسألة فيها اختلاف من ناحية اللفظ، والرواية الأولى هي الأولى بالترجيح وبسطه يطول.

عالمية الثالوث من آدم حتى قيام الساعة:

١. « **ما من فتنة من آدم إلى قيام الساعة إلاّ وهي تصنع أو تضع لفتنة الدجال** »[1]..

٢. امتداد فتنة الدّجال من عهده إلى قيام الساعة، ووقوفه صلى الله عليه وآله وسلم معادلاً شرعياً في المرحلة حتى قيام الساعة «**بعثت أنا والساعة كهاتين** »، وقوله: « **من نجا من ثلاث فقد نجا.. موتي وخروج الدّجال وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه** »[2]، «**إني أرى حوضي الآن، وإني أرى الفتن بين بيوتكم كمواقع القطر**».

٢. امتداد فتنة الدجال من مقتل عثمان حتى بروز الدجال:

عن حذيفة « **أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال، والذي نفسي بيده ما من رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلاّ تبع الدجال إذا أدركه وإن لم يدركه آمن به في قبره** »[3]، وقد تناولنا هذا الموضوع بإسهاب في التّليد والطّارف.

---

(٢) سبق تخريجه.

(١) حديث ذكره في تحقيق مواقف الصحابة (٢-٨).

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢١١/٧) عازياً له إلى الحافظ ابن عساكر – وهو في تاريخ دمشق– من طريق سياه عن حفص بن مورق الباهلي، عن حجاج بن أبي

ومن هذا الامتداد التاريخي تعلم خطورة (الثـــالوث الوبـــائي الهالك) وأن الأمة الإسلامية تحتاج إلى تفهم وتعلم واسع المدى في كثير من وظائف حياتها المعاصرة.. لتتجنب الوباء القاتل والفـــساد الدّجالي الماحل.. والله الموفق والمعين.

عمار الصواف، عن زيد بن وهب، عن حذيفة بن اليمان، قال: « أول الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلاّ تبع الدجال إن أدركه وإن لم يدركه آمن به في قبره ».

الثلاثي المذموم.. والثلاثي المدعوم ..

من ظواهر المرحلة الغثائية وسيادة الوهن فيها،انتشار الحرب بين أهل الإسلام والإيمان والإحسان، واتخاذها شكلاً من أشكال الصراع والانفعال، والغالب من الناس ينطلق في تحليله شمول هذا الصراع من داخل الحظيرة الإسلامية، وأن ظواهر الإفراط لدى هذا، وظواهر التفريط لدى ذاك هي العامل الأساسي في اتخاذ السلفيين -مثلاً- موقفاً ضد الصوفية والمتصوفة أو العكس..

والحقيقة المُرَّة – ونشرها أشد مرارة – أنّ عصبة الحركة الإبليسية في العالم وقد تكلمنا عنهم سلفاً.. قد طرحوا لإنجاح المعركة وقوداً كافياً وجمعوا من حطب المتناقضات، وغاز الانفعالات ما يكفي لتفجير الجماعات ضد بعضها البعض، وكان من أهم وقود الصراع في المرحلة الغثائية (إشغال المسلمين بأنفسهم)، وتبلور محور الإشغال والاشتغال بتحجيم طرفي الإفراط والتفريط لدى الصوفية وآل البيت والمذهبيين.. ليصير ثلاثياً مذموماً،كما تبلور من جانب آخر دعم ثلاثي المرحلة :

التطرف الديني والسياسي ، وسائل الحضارة والتحرر ، والاقتصاد الربوي ..

وصار ثلاثياً مدعوماً من كافة القوى العالمية ، ودارت رحى الحرب بين الطرفين على غير تكافؤ مادي.. وكان من سمات التطرف الديني والسياسي:

- نقض الحكم والثورات والانقلابات بمسميات (سياسية متنوعة).
- نقض عرى التصوف والمذهبية وآل البيت.
- تشجيع الأحزاب الدينية المتطرفة.
- افتعال المعركة بين (الرأسمالية والشيوعية).. الشرق والغرب لتقسيم العالم..

وتحت ظلال هذه المعركة الدائرة على مسرح المجتمعات العربية والإسلامية استثمر (الثلاثي العدو) هذا الاتجاه تحت ما يسمى (سياسة فرّق تَسد) وانتقل من الاستعمار إلى الاستهتار إلى الاستثمار.. وفي كل مرحلة من هذه المراحل يوسع وسائل (الصراع المفتعل ويدعمها دعماً سخياً) لينتقل المسلمون بكافة هياكلهم وتناقضاتهم إلى مرحلة أخرى..

والذين يدركون بوعي هذه الأطروحات سيجدون التاريخ كله –

خاصة ما رقمته المؤلفات والصحف - شاهد على أن (العدو الثلاثي) هو الكاسب لمعركة الصراع بين (الثلاثي المذموم، والثلاثي المدعوم).

وليس غريباً أن نرى الآن وفي (مرحلة الاستثمار) كيف تتغير نسب الولاءات، وتتفكك عرى التحالفات المدعومة لتعيد التركيبات المرحلية نحو إستراتيجية معكوسة تختلف تماماً عن تركيبات بدايات المرحلة الغثائية.. ولربما وجدنا (الثلاثيات المذمومة والمدعومة) تعاد قراءتها بتفصيلات جديدة.. وتعليلات متطورة فريدة..

فالمرحلة التي برزت أخيراً في العالم تحت مسمى (العولمة) وما ترتب عليها من تطورات عالمية وإسلامية وعربية.. نزعت بالأمر إلى تسييس جديد ومواقف جديدة.. ومن ظواهرها:

- تسييس الوسطية والاعتدال.
- ترسيخ الهيمنة الاقتصادية والاحتلال.
- الثورة المعلوماتية، وإطلاق الحريات، وإسقاط حاكمية العالم للقطب المثال.

١) تسييس الوسطية والاعتدال :

وهي الإستفادة من توازن القوى التي عاشت خلال مرحلة (العلمنة) على مبدأ الصراع السياسي والحزبي والديني لتسهم في تنمية مرحلة (العولمة) وفق المصالح المشتركة دون تغليب أحدهما على الآخر في معركة المبادئ والتوجهات الفكرية بحيث يظل فتيل الصراع خامداً حتى وقت الحاجة.

ومن سمات هذه المرحلة.. أن ترفع الحصانة السياسية عن المجموعات الموجهة سابقاً لشق عصا الواقع الاجتماعي؛ ليصبح نشاطها ذاتياً تتبناه هذه المجموعات بعد ذَوَبَانها في الواقع وتحولها إلى شريحة اجتماعية شعبية لا علاقة لها بالسلطة ولا بالقوى التي غرستها في الأمة.

٢) ترسيخ الهيمنة الاقتصادية والاحتلال:

وهي أساس رؤية (العولمة) أو ما يسمى بهدف الاستثمار العالمي، وقد تهيّأت هذه السياسة بإنجاح (المصرفية الربوية المسيطرة على العالم كله) ويقابلها تحريك العسكرية الضاربة لاحتلال مواقع الاشتعال والتطرف وكتم أنفاس (القوى المصنعة سابقاً) لاختراق مرحلة العلمنة وتهيئة جو العولمة وتهيئة قوى جديدة (مع نزع

سلاح الأنظمة والدول) لِيُفرض عليها مفهوم الـــسلام الـــسياسي وفق مرادات (عصبة الشيطان العالمية).

٣) الثـــورة المعلوماتيـــة وإطـــلاق الحريـــات وإســـقاط الحاكمية للقطب المثال :

وهي المصيبة والطامة الكبرى لدمار (التركيبات الثقافية والتعليمية والتربوية والإعلامية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية الـــشرعية) وخاصة في المجتمعات العربية والإسلامية التي تهيأت أجيالها الإعلامية لقبول هذا التغيير والتخدير خلال المرحلة السابقة بوسائط تسييس التعليم والإعلام والثقافة الجديدة المتمرحلة منذ عصر الاستعمار..

وبهذا الثلاثي الجديد (ثلاثي العولمة) يتم به الدخول إلى ما سماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالفتنة الرابعة « **البكماء العمياء الصماء** » التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكافر.

إنّ تحليلنا هذا عن تمرحُل الأمّة هو التَفسير الوَاعي لمراد الله تعالى في شأن علامات الساعة.. وهو أيضاً مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تعليل ظواهرها وعلاماتها وأشراطها وفتنها.. وبهـــذا التحليل ينتظم عقد المرحلة الإسلامية العالمية أو ما يسمى (بعالميـــة الإسلام)..ويبرز الإسلام عملاق المراحل كلها والمهيمن بثوابتـــه

وشريعته، واستقرائه الشرعي لكافة شؤون الحياة الدينية والدنيوية.. ومن غير افتيـــات، ولا تجـــاوز ولا تطـــرف ولا مـــصادرة لآراء الآخرين.. هذا هو الإسلام الحق.. ولكنّ أين هم أهله ورجاله ؟

اللّهم اجعلنا من أهل هذا الدِّين ورجاله في الدُّنَيا بالعملِ الصَالح والنصرة وفي الآخرة في مُستَقر الرحَمة.. ومراتب الدَرجات العُلى مع الذين أنعمتَ عليهم من النبين والصَّديقين والشُّهداء والصَّالحِين وحَسُنَ أولئكَ رَفِيقَاً.

الفَصِلِ المُتَعَمَّد بين التاريخ والديانات

تميزت وظيفة المدرسة الأنوية عبر التاريخ كلّه بالفصل الدائم بين العمليات المترابطة بين (المدرسة الأبويّة الشرعيّة) وتفكيك عُـــرى الأتصال فيما بين مجموعاتها المتداخلة.. تحت المبدأ العالمي للشيطان (فَرّق تَسدْ)..

والدين الإسلامي باعتباره الدعوة العالمية الأخيرة في تاريخ التطـــور البشري يدمغ الفصل المتعمد للعمليات الشرعية في مسيرة الإنـــسان؛ بل ويدينها ويعتبرها امتداد للفساد الأنـــوي في الخليقـــة، ويحـــذر (المتدينين بدين الإسلام) أن يقعوا في حبائل الشيطان وخطواته المؤدية إلى الفرقة والفشل والتنازع التي افسدت الأمم الأولى.. ويـــشـــيد الإسلام بالعقلاء والصلحاء الداعين إلى الاعتصام بحبل الله واجتماع الكلمة والعاملين إعادة اللحمة الشرعية للأمة.. ســـواء في ديانتـــها ومعاملاتها الشرعية أو في قراءتها للتاريخ عبر المراحل وتطور الأزمنة.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [1].

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ [(١)].

وقوله صلى الله عليه وسلم: « **إنّما يَأكلُ الذئبُ مـــن الغَـــنَم القَاصِية** » [(٢)] وقوله صلى الله عليه وسلم: « **يَدُ اللهِ مَع الجَماعة**»[(٣)].

---

(١) الانفال: ٤٦.

(٢) أخرجه أبو داود (٤١١/١) والنسائي (١٠٦/٢) وأحمد في المسند (١٩٦/٥) من طريق زائدة بن قدامة، حدثني السائب بن جيش كليب الكلاعي، عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، قال: قال لي أبو الدرداء أين مسكنك؟ قال : قلت: في قرية دون حمص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: « ما من ثلاثة في قرية لا يؤذن ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب الغنم القاصية » قال السائب : يعني بالجماعة .. الجماعة في الصلاة.

(٣) قال الترمذي في سننه (٣١٦/٣): حدثنا يحيى بن موسى، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا إبراهيم بن ميمون، عن ابن طاوؤس عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يد الله مع الجماعة » قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، قال الحافظ أحمد بن محمد الغماري في المداوي (٦٢٢/٦) ومن هذا الوجه عن طريق عبدالرزاق رواه أيضاً محمد بن مخلد العطار في جزئه، والحاكم في المستدرك (١١٦/١) والقضاعي في مسند الشهاب (١٦٨/١)، وقال الحاكم: إبراهيم بن ميمون العدني هذا وقد عدّله عبدالرزاق وأثنى عليه، وعبدالرزاق إمام أهل اليمن، وتعديله حجة، وأقره الذهبي وزاد أن ابن معين قد وثقه أيضاً. وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الترمذي أيضاً في سننه (٣١٥/٣).

والآيات والأحاديث في هذا الشأن تغلق باب الفتنة الأنوية التي قامت عبر التاريخ الإنساني على مسألة الفصل بين الثوابت كما تقدم ذكره.

ومن هذه الثوابت العلاقة بين (التاريخ والديانة) فالأديان السماوية تعتبر التاريخ الإنساني جزء من الديانة ومفسر لها.. بينما تعمل العصبة الأنوية على فصل تاريخ الديانات الشرعية عن العمليات التاريخية الإنسانية، ويضعون الديانات ومتعلقاتها علم مستقل بذاته تنقطع علاقتهم به إلاّ من حيث كونه تفسيراً غيبياً فقط، ويقرأون التاريخ الإنساني معزولاً عن الديانات لأنهم يرون أن قراءة التاريخ العلمي ترتكز على الملاحظة والإستقراء، واستنطاق المستحثات والآثار ودراسة تاريخ الأمم والحضارات المادية مستقلة عن الديانة ومفاهيمها.

إن المدرسة الأبوية الشرعية تنطلق في تحديد تاريخ الإنسانية بالكتب السماوية ومأثورات السنن النبوية وتعتبر المستحثات والآثار إحدى العبر ووسائل الدراسة العلمية فقط..

بينما تنطلق المدرسة الأنوية الأبليسية في قراءتها للتاريخ من (تفسير العقل الإنساني للظواهر) ومن هنا جاء الفصل المتعمد بين (التاريخ

والديانة).

وحتى لا يعتقد الكثير من الناس أن الإسلام لا يعتـــرف بالعقـــل الإنساني وتفسيره نؤكد هنا أن الإسلام يعتبر تفسير العقل الإنساني للظواهر وتعليلها أحد فروع علوم الديانة وشرط من شروط المعرفة فيها؛ ولكن ليس بديلاً عنها.. بل إن الآيات الكثيرة في القرآن إنما تخاطب العقل الإنساني كي يستقرئ الظواهر ويفـــسر الحـــوادث ويلاحظ الآيات كجزء من وظيفة (العقل البـــشري) في الحيـــاة للنظر في خلق الله..

ولأن الشيطان لا يعنيه أمر الربط بين الديانة والتاريخ بل يـــضره، ويضر توجه مدرسته الأنوية ويبطل عملياتها الفاسدة فنجده قد أصرَّ على (تقعيد الفصل المتعمد) وتحويله الى قاعدة علميـــة في حيـــاة الإنسانية كي يضمن بقاء التفسير المادي للتاريخ وتطوره لمـــصلحة توجهه الأنوي ومن هذا التفسير المادي جاءت نظريـــات الكفـــر والإلحاد وهي النظريات العقلانية القائمة على الـــرفض الـــصريح للتفسير النبوي الشرعي للحياة ووجود الخليقة..

فخلق آدم، وعيسى، والملائكة، وتنـــزل الوحي، وعلـــم الغيـــب، والمعجزات، والكرامات، وتفسير الظـــواهر الكونيـــة، والإيمـــان

بالآخرة، وبالقدر، وبالقضاء، وما شابهها من المسائل الغيبية الشرعية لا يقبلها العقل الأنوي إلا بمقاييس وثوابت عقلانية محددة غير إيمانية (أي غير غيبية) بينما يقر الدِّين الإسلامي الاستقراء العقلي والدراسة البحثية لهذه الظواهر والغيبيات؛ ولكن في إطار التصديق بوجود الخالق والتزام التحليل التاريخي للكتب السماوية الصحيحة فكلما ورد في كتب الله تعالى قاعدة شرعية لا تقبل النقض ولا التعديل ولكنها تقبل الدراسة والمتابعة والملاحظة لفهم مدلولها ومعناها وما يتناسب في تطور الفهم والعقل والعلم..

ومن هنا برز التحدي الخطير بين العمليتين..

وقد سرى هذا التحدي إلى مناهج التعليم المعاصر وإلى مرقومات الثقافة والإعلام وخاصة في البلدان التي استفاد المستعمر من استعمارها واستثمارها وتسييس مناهجها..

لأن المستعمر من وجهة نظر المدرسة الأبوية هو نائب الفاعل عن (المدرسة الإبليسية) العالمية.. وهو المنفذ لمنهجيتها الأنوية..

ولتطهير المناهج الدراسية في عالمنا العربي والإسلامي من هذه الفهوم والوهوم الأنوية وما تفرع عنها خلال مراحل الاستعمار والاستهتار والاستثمار يجب إعادة (الدراسة الموضوعية) للعلاقة

التاريخية بين الديانة والتاريخ.. وتحرير العقل الإعلامي المعاصر من قواعد الانفصام المستشمر في عمليات التربية والتعليم والإعلام والثقافة ، بل ويجب اعتبار المصدرين الأساسيين (الكتاب والسنة) هما محور العدل في تمحيص المعلومات التاريخية وبناء مواقفنا العلمية والمعرفية أمام الأمم الأخرى وموقفنا من رموز الحضارة المعاصرة في شأن رفضها (لديانة الإسلام) إذ أن (العصبة الأنوية) تعمل الآن جاهدة على تغييب أثر (القرآن والسنة) في العلاقة التاريخية بين الإسلام والكفر عموماً ، وبين الإسلام واليهودية والنصرانية، وتضغط بالقوة أحياناً وبالسياسة أحياناً على (مؤسسات الدول العربية والإسلامية) الخاضعة للتسييس الأنوي طوعاً أو كرهاً لإضعاف معنويات طلاب المدارس والجامعات الحديثة أمام مرقومات القرآن والسنة ومواقفها من الكفار ومن مفاهيم الجهاد في سبيل الله ، وترغب هذه العصبة (علناً أمام العالم) أن تُعيد النظر في صياغة المناهج الشرعية وما يترتب عليها من مواقف ، وتنزع من (الأمم الإسلامية) عزها وكرامتها بالدين بعد أن استطاعت إلصاق التهمة العالمية (الإرهاب) بكل ما يمت إلى الإسلام أو يعبر عنه..

إن الأذرعة المتحركة في العالمين العربي والإسلامي منذ سيطرها

على (موقع القرار) في الأمة تمكنت من تنفيـــذ كافـــة العمليـــات الاستراتيجية لاحتواء الإسلام وتفريغ عقـــول أتباعـــه في ثوابتـــه ومقاصده العالمية ليتحول إلى نموذج من نماذج الاستسلام والخنوع وتسييس الشعوب للمصالح الكافرة..

وبرغم استغراب الكثير من المسلمين منا شرح هذه الحالة.. إلا أن الوقائع تؤكد حصول هذه الانحرافات والإنجرافات مرحلـــة بعـــد أخرى منذ عهود سلفت. وأن مرحلتنا المعاصرة وما فيها من خلط وخبط وعشوائية إنما جاءت ثمرة من ثمرات التسلـــسل الأنـــوي في السيطرة على مقدرات الشعوب وامتلاك رقابها..

إن كثيراً من (حملة الأمانة العلمية) في العالمين العربي والإســـلامي يسهمون في إطالة عمر هذا الانفصال بمـــا تعلمـــوه ودرســـوه في مدارس العصر وما ألفوه وما سمعوه من مشايخ النقض والقبض في كل شيء حتى شملت عمايات (الانحراف) غالبية النشء المخـــدوع من جهة وشملت خيم المعـــارف وســـقوف التأصـــيل للمنـــاهج والأطروحات الفكرية وصنعت سحب الضبابيات الكثيف حتى بين المسلمين أنفسهم ضد بعضهم البعض بحق وبغير حق..

كما أن المدرسة التقليدية (المدرسة الأبوية الشرعية) محلية وعالميـــة

أيضاً منيت في تقلبات المراحل بنماذج من الضعف والجنوح إلى طرفي الإفراط والتفريط مما حدا بكثير من أتباع هذه المدارس التقليدية للتحرر عن ربقة المفاهيم الجامدة إلى البدائل الجديدة التي صُنّعت لإطالة مرحلة الأنوية وإخفاق الإنسان المسلم في كل الحالات..

لقد أسهم كثير من (أتباع المذهبية والتصوف وآل البيت) في عزل الأمة عن التاريخ الصحيح والتدين النقي بما استحدثوه في حياتهم الفكرية من أوضاع وتصرفات ومفاهيم وأساليب لم ترقَ عند ربطها بالحياة ومطالبها لدى الجيل المحتك بمطلب الحضارة وتطورات المعرفة إلى المستوى المناسب للتحولات والتطورات الجديدة؛ بل كان بعضها وسيلة من وسائل النقض والانتهاك (للتصوف بعمومه) وإدانة المدرسة بالجنوح والتجاوز عن الملّة الشرعية وخاصة فيما يتعلق بطرفي الإفراط والتفريط التي دندن عليها وعلى فروعها مدارس القبض والنقض.

ومع أننا ندرك مدى الإفراط الذي شغلت به مدرسة القبض والنقض في شأن تحجيم عيوب أهل الذوق إلا أننا لا نبريء ساحة بعض أتباع المدرسة الصوفية من الاغراق فيما لا حاجة للإسلام به. والمخرج الملائم للأمة بعمومها في (الربط المعرفي بين التاريخ والديانة).

إننا لا نلزم أنفسنا بالتوقف عند الإفراط أو التفريط أياً كان مصدره والمعبر عنه؛ بل يمكن استعادة الربط الواعي بين (التاريخ والديانة) بالنظر في القواسم المشتركة لدى كافة المناهج العلمية والفكرية في (أمة القرآن والسنة) وبهذا نتجاوز العلة التي وقع فيها الكثير من حملة الأقلام، وتسهم في تخفيف حدة التوتر التي غذتها المراحل المتقلبة والظروف المسيسة مع إدراكنا التام صعوبة هذا المطلب، وإباء المجموعات المنتمية إلى هذا التجزؤ مسألة التوافق على مسميات القواسم المشتركة؛ ولكن هذا لا يمنع من وضع مثل هذه الفكرة ولو لمستقبلٍ قادم والثواب منتظر من المولى سبحانه وتعالى والنية صالحة لجمع كلمة الأمة على منهج جامع يسد الثغرة المفتعلة بين التاريخ والتدين.

إن منطلق القراءة الشرعية للربط الواعي بين الديانة كتنزيل شرعي وبين التاريخ كحياة ومجتمعات وإنسان وتجربة يجب أن يُفهم ويُفسر من حيث كان المطلب الرباني في العباد، ومن ثم تتبين بعد ذلك سلامة التاريخ من الأنوية أو إغراقها في عللها بنسب وتفاوتات محددة فالكفر علّة أنوية ومخالفة صريحة لمراد الله وإذا ما رغبنا أن نتحدث عن أمة من الأمم يجب أن لا ننطلق من تحليلنا النظري لحياة

تلك الأمة وإنسانيتها وتجربتها وتراثها وآثارها؛ بل يبدأ النظر إلى موقعها من (الديانة) أي من (قبولها أو رفضها) للرسالة الموجهة لها من عند الله ثم نحدد بقية تراثها وآثارها وتجربتها الإنسانية كعلم تاريخي متجه الى جانبين :

- **تراث وآثار وتجربة إنسانية كافرة أنوية وضعية.**
- **تراث وآثار وتجربة إنسانية مؤمنة أبوية شرعية.**

ومن هذا المنطلق أيضاً ننظر في تناولنا لمرحلة الإسلام والأمة الإسلامية منذ بزوغ فجر الرسالة حتى عصرنا الراهن وما سيلحقها من عصور لاحقه.

فنأخذ كل عصر بمقدار التزامه وارتباطه بثوابت الديانة والتدين في الحكم والعلم والتجربة الإنسانية فالمراحل والدول والأئمة والجماعات والمذاهب.. الخ ذات المنطلق الأبوي الشرعي المجمع على سلامتها دونما خلاف يُقرأ تاريخها قراءة أبوية شرعية..

وكل مجموعة نطقت مرقومات الكتاب والسنة بفتنتها أو جنوحها أو انطبقت عليها صورة من صور (الإفراط والتفريط) يبحث في شأن صورة (اعتدالها) وقواسمها المشتركة مع غيرها من (مذاهب ومواقف)

المدارس الإسلامية المعتدلة ويعترف لها بما فيها من قواسم الاعتدال والوسطية الشرعية ويفسر تاريخها وتدينها بهذه القواسم.

أما طرفا الإفراط أو التفريط فيها فيعالج كشذوذ الجماعة وكظاهرة سلبية في المرحلة أو المدرسة أو المذهب أو الجماعة ولا يعد سبباً في الفصل بين الديانة والتاريخ إلاَّ إذا كانت هذه الجماعة أو المذهب أو الفئة تأبى الرضوخ إلى (مفهوم الاعتدال والقواسم المشتركة) أو تصر على الجنوح أو تتبناه . فمن أبى.. فلا شكَّ أن هذه القاعدة العلمية التي نضعها تدينه في إفراطه أو تفريطه ليلحق بنماذج المدرسة الأنوية الإبليسية شاء أم أبى..

إن الإحراج الذي بلغت إليه حياتنا المعاصرة في شأن علاقة المسلم بالمسلم قد تجاوز الحد الأعلى و لم يعد لنا في (مرقومات المرحلة المتداولة) ما يشير إلى تقارب واعٍ أو تفاهم مُجْدٍ ينشأ من خلاله تقارب خال عن التسييس؛ بل أن التسييس قد صار حاكماً للعلاقات بين المسلمين حتى داخل مجموعاتهم ومذاهبهم وطرقهم وربما تطرق الشك لدى (عالم أمام عالم مثله) إذا رغب أحدهم في اجتماع كلمة أو توحيد رأي أو اتفاق على منهج معين لخدمة المجتمع الإسلامي بعمومه أو خدمة الطريقة ذاتها..

بينما يضطر الجميع أن يقبلوا خدمة المجتمع والطريقة، إذا احتضن النشاط أو العمل رمز من رموز القرار وحملته في مرحلة الغثاء والوهن..

والأدهى والأمر في مرحلتنا هذه أن يتبنى تقارب وجهات نظر المسلمين فيما بينهم (عدوهم الأصلي في تاريخ الديانات) ولسنا في شأن الإباء أو الرفض لاجتماع كلمة على أي صورة كانت، وإنما نحن بصدد ابتعاث الروح الإيمانية الميتة في المنتسبين إلى ملة الإسلام العالمية وخاصة رموز الأمة وعلمائها وحملة الأمانة الشرعية فيها كي نتدارك معاً خطورة التخاذل ونعمل معاً على مد خطوط التواصل ذاتياً ودون الحاجة لوصاية من الغير. فالغير في كل أحواله غير ولن يكون حريصاً على وحدة أمة هو يسعى لتفكيكها واستثمار فرقتها.. ولعل السياسة الاستثمارية الناجحة في ماضي المرحلة بالفرقة تهييء ذات النجاح لاستثمار المرحلة الجديدة مع مشروع الكفر والاجتماع على نغمات الإيقاع الأنوي المسييس .

الأبـويـة الشرعيـة
وموقعها من جمع أشتات الأمة

كان لابد للغة القرآن والسنة من أن توجِد مخارج جديدة تُسهم في رفع ثائرة النـــزاع المفتعل، وتضع الأمل في أمة مزقها الخـــلاف والجدل. وتشارك بفعالية في هذه (الأطروحات) المتنوعة التي تتسم حيناً بالعشوائية وحيناً بالعقلانية وحيناً بالتـــسييس والتحـــديس.. حيث تنطلق العقول المفكرة في مرحلتنا المعاصرة مـــن (حيثيـــات الاستقراء للواقع وما يدور فيه) بل أن من ظواهر مجتمعاتنا العربيـــة والإسلامية اليوم تناول الأحداث وتفسيرها من واقع رغبة الفاعلين لها والمستثمرين سلبها وإيجابها..

والقرآن والسنّة.. بالنسبة لمـــشروعية (نـــصوصهما) تكـــادان أن تتجاوزا كل نص ونظرية وفكرة وأطروحة لأنهما يحمـــلان صـــفة العالمية المطلقة.. العالمية التي لا ترضخ للتسييس ولا المـــصادرة ولا للباطل من أي وجه.. ولهذا نجد لغة الأنوية العالمية التـــي يتبناهـــا الشيطان وجنوده يعملون على إقصاء لغة الإسلام والقرآن، وإبعادها عن ميدان المعركة تماماً.. لأن نجاحهم ونجاح أطروحاتهم الإنسانية مبنية على تغييب لغة القرآن والسنة، وبغيابهما تكون الأطروحـــات

الإنسانية متوازية التأثير متقاربة الفهم.. متقاسمة المصلحة.. وقد مضى على هذا المشروع الأنوي الفاعل مرحلة طويلة تلزمنا نحن في معركة الحياة أن نبحث عن لغة علمية فاعلة نستطيع من خلالها إحداث لون من ألوان التوازن الشرعي قبل أن نتحدث عن النجاح بثقة وأريحية .

وكانت الإجابة كامنة في تبين (تحديث مفاهيم الأصلين) وإعادة القراءة الواعية لمراد الله ورسوله في هذه الرسالة العظيمة فكان من ثمرات هذه القراءة النظر الى مفهوم (الأبوية الشرعية) وما يترتب على هذا المفهوم الجديد من فوائد وعوائد تسهم في الربط الواعي بين الأواخر والأوائل على ثوابت وقواعد جامعة لأشتات الرؤى والأفكار الإسلامية المتباينة..

إذ أن لفظة (الأبوية) مشتقة من مدلول القرآن الكريم الجامع لمفهوم التسلسل (الأبوي) الشرعي والراعي له.. ديناً وطيناً في مثل قوله تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (١) وفي مثل حكاية القرآن عن يوسف عليه السلام وهو ينتمي إلى

(١) الحج: ٧٨.

سلسلة الأبوة الشرعية بقوله: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ..﴾[1].

والقرآن مشحون بهذه المعاني الأبوية الواعية سواء من حيث ذكرها على أساس التسلسل العائلي المحمود أو على أساس التسلسل العلمي المعدود..

ويزداد الأمر وضوحاً وتبياناً في مفهوم الأبوية الشرعية إذا نظرنا إلى المراحل الإنسانية الأولى وبدء ظهور الأبوية الآدمية الموجهة بالوحي السماوي ذات المميزات الثلاث:

١. التسوية بيد الحق سبحانه.

٢. نفخ الروح.

٣. تعليم الأسماء.

وكانت هذه هي أصول الأبوية الشرعية في العالم الإنساني..

ويقابلها مجال الضدية (الأنوية الإبليسية) التي رفضت السجود لآدم وأبت الاعتراف بثلاثية التفضيل المشار اليها سلفاً، وألزمت نفسها تبني (الرؤية الأنوية) القائمة على التحدي المتمثل في الشعار

(١) يوسف: ٣٨.

الإبليسي ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ وطرح فكرة التمايز المـــادي للعناصـــر المتفاوته دون اعتبار للأمر الإلهي وما يضعه مـــن خـــصوصيات في خلقه وهي ما تسمى في عصرنا بالعقلانية المجردة.. @﴿ أَأَسْـجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾(١)..

فالعقلانية المجردة سياسة المدرسة الأنوية الابليسية في العالم وهـــي المسؤولة عن الانحراف التاريخي منذ عهد تحول (قابيل) عن المنـــهج (الأبوي الشرعي) إلى (المنهج الأنوي الإبليسي) وبها انتقلت المعركة من إبليس وآدم إلى (الآدمية ذاتها) تحت رعاية (الوسواس الخنـــاس) رائد المدرسة الأنوية العالمية وتسلسل النشاط الأنوي الإبليسي على أيدي الكفرة الجاحدين عبر القرون ومن أصيب بداءهم وعلتهم ولو كان مسلماً ، كما تسلسل العلم الأبوي الشرعي على أيدي الأنبياء والعلماءِ الوراث جيلاً بعد جيل حتى عهد النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم.. مجدّد المدرسة الأبوية وحامل رايتها العالمية الأخيرة في الحياة والقائم صلى الله عليه وسلم بالوحي السماوي أمام الإفك الأنوي وأكاذيبه وأضاليله حتى قيام الساعة..

---

(١) الإسراء: ٦١.

وقد تبين بالاستقراء والملاحظة كيف سار المنهج الأنوي الشيطاني في طريق الانحراف والضلال مرافقاً عصر حياة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حتى عصرنا الراهن وإلى قيام الساعة.. متمثلاً في انحراف مدرسة النفاق المدرسة الحرقوصية، ومدرسة الإفك المسيلمية، ومدرسة أهل الكتاب، ومدرسة المشركين من قريش والأعراب وقد اتحدت هذه المدارس المنحرفة مع أساطين الكفر من كل عصر وتاريخ.. واحتضنوا (المنهج الأنوي الإبليسي) وأقاموا له الأسس والثوابت الوضعية ورعوه فلسفة وحكماً ودعوة، كما اعتنى المنهج الأبوي الشرعي بتفصيل ظاهرة الأنوية وأتباعها سواء في الخيمة الإسلامية ذاتها أو من خارجها وذلك بما أودعه صلى الله عليه وآله وسلم في علم علامات الساعة وأشراطها وفتنها.. وهذا العلم كفيل بكشف حقائق المدرسة الأنوية وإظهارها على حقيقتها.. وصورها الإبليسية.

إن المدرسة الأبوية بمنهجيتها الشرعية المسندة مدرسة تربوية تعليمية دعوية لا تفصل بين هذه العمليات في شتى منطلقاتها؛ بل تعتبرها أساساً لتنشئة الأجيال وثقافة رجال العلم والأعمال باعتبارها هوية

الرسالة النبوية الأبوية ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[1] وفي هذه الآية إشارةٌ بينةٌ لصلة المدرسة وأتباعها بالعهد الدائم بدوام الحياة المعبر عنه في أهله، بقوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴾[2] بينما تجنح المدرسة الأنوية وأتباعها عن هذه العهدية لتسلك مسلك التغيير والتبديل والتحول عن مسار العهد، ومحاولة كسر حواجز التشريع، وخرق حجاب الآداب والفصل بين العمليات الثلاث، وإفراغ محتوى الأصول وتسييس الفروع والسير بالعمليات الثلاث نحو خدمة (الشيطان، الكفر، الدجال) لتنشأ الأجيال الإنسانية ناقضة لعهود ربها مخالفة لشرعة نبيها قال تعالى عن هذه المدرسة الجانحة.. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥ ٱللَّهُ يَبْسُطُ

---

(١) إبراهيم: ٢٤- ٢٥.

(٢) الأحزاب :٢٣.

ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾[1] وأكبر شاهد على تأثر المسلمين في أوطانهم بهذه المنهجية الخطيرة تغييب التربية والدعوة إلى الله من مدارس التعليم المعاصر كلها، من أَلِفها إلى يائها بُعيد ارتباطهم بالمنهج التعليمي الأوروبي الغربي، وإيقاف العمل بالمنهج الإسلامي المتوارث في العالمين العربي والإسلامي.. وقد تطورت هذه الصلة.. مرحلة بعد مرحلة حتى انفصلت العمليات التقليدية عن المدرسة الحديثة كلّياً... وانصبت أساليب التعليم على الطريقة الحديثة.. حتى في أسلوب الكتابة والتلقين الأولي للطلاب. فضلاً عما فوق ذلك.

والقرآن لغة مدرستنا الأبوية الشرعية.. يضع العمليات الأساسية لبناء المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ كلّه وِفْقَ المحاور الثلاثة.. الكتاب، الحُكم، النبوة..

وكأني بمفهوم النبوّة يتَسِع ليضع الأخلاق الإسلامية المرتبطة بالذوات معادلاً للأصلين الكتاب والحكم -أي القرآن والسنة- بالنسبة لأمة الإسلام، لأن (أخلاق النبوة) حجبت عن الرعايا

---

(١) الرعد: ٢٥-٢٦

العذاب وعاشوا بمأمن من سخط الله وتعجيل عذابه.. خلافاً للأنبياء الذين مارسوا مع قومهم حق الدعاء بالهلاك.. فكل الأنبياء أُولــو مقامٍ عظيم في الإقتداء والاهتداء؛ لكن نبينا محمد صلى الله عليــه وآله وسلم نال بالأخلاق والصبر مرتبة عليا.. صار بها مميزاً ومتميزاً في ديوان الأنبياء والرسل.. حتى صار من الديانة الشرعية العالمية أن أخذ الله العهد على سابق الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه لو أدركوا زمانه وفيه ملحظ هام لأمم اليهود والنصارى ومن نحى نحوهم، أن ديانة الإسلام الأخيرة وارثة للديانات، وأن عليهم الانطواء في هذه الرسالة والإيمان بصاحبها مع الإيمان بشرائعها وكونهم -أي أمــم اليهود والنصارى- كما هو حال بعضهم الآن يؤمنــون برســالة موسى وعيسى انتساباً وليس سلوكاً بالشريعة ولا يؤمنون بمحمــد صلى الله عليه وسلم فهذه علة لا يكتمل بها سلامة التــدين، وإن التزم نصوص الأنبياء، أو أخذ منها.. أو حتى لــو آمــن وصــدق بسلامة القوانين الإسلامية كنظرية صالحة للتطبيق، كما هو لــدى بعض الغربيين اليوم الذين أخذوا من نصوص الديانة الإسلامية جملة من القوانين لِما وجدوه فيها من ضوابط إنسانية تفوق ما أنتجتــه قرائحهم فاستفادوا منها.. ولكنهم لا يلقون بالاً لمفهوم الرســالة

كدين ولا لمعنى القدوة الحسنة بصاحبها عليه الصلاة والسلام..

وهذا نموذج من الفصل بين (النصوص الشرعية وبين مقاصـــدها الإيمانية) والشريعة الإسلامية لا تقبل الفـــصل ولا المـــصادرة ولا الاحتواء..

وقد سرت هذه العلة كمعنى من معاني (استتباع سنن الأمـــم) في قوله صلى الله عليه وسلم: « **لتتبعنّ سَنَن من كان قَـــبلكم**.. » إلى أمة الإسلام ذاتها فتأثرت بالثقافات القائمة على الإنفصام والتجزئة والإنتقاء ففصلت بين (الكتاب والحكمة) وبين المعـــادل الثالـــث (النبوّة) وظن الكثير من حملة القرار العلمي أن هذا عـــين المعـــنى المقصود بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « **كتابُ الله وسُـــنّتِي** » بينما حقيقة المقصود يأتي على ثلاثة مباني:

كتاب الله	**وسنة نبيه**	**والأخلاق**

أوكتاب الله وسنة نبيه والعترة (كمعادل للذات النبويـــة) عنـــد اجتماع الشروط.

والعترة في هذا المعنى إشارة إلى مدرسة (آل البيت) العالمية التي لا تمت إلى (الإفراط ولا التفريط) وإنما هي مدرسة النبـــوة ذاتهـــا..

وماجنح منها عن معنى (النبوة) فَموكول إلى طرف الجنوح الـــذي نحى إليه أو إرتبط به.. ولهذا نجد هذه (المدرسة النبوية) قد جعلت مثالاً لكل الأنبياء عليهم السلام. لو أدركوها.. قال تعـــالى: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ ﴾[1]..

فالإيمان المطلوب إيمان بذاته... ثم نصره صلى الله عليه وآله وســـلم فيما يذهب إليه.. وهو صلى الله عليه وآله وسلم لـــن يـــذهب إلاّ لما هم عليه من أمر التوحيد والديانة التي جاء بها الأنبياء لأنها مـــن وظائفه ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمۡ﴾، قال تعـــالى: مـــشير إلى اجتمـــاع الشروط الثلاثة (الكتاب الحكم النبوة): ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ

---

(١) آل عمران: ٨١.

قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1].

(١) آل عمران : ٧٩-٨١.

هل التشخيص علّة أم الرضى بالعلل فضيلة ؟

كلنا اليوم نتكلم عن الإسلام ونتكلم بالإسلام وندعي أيضا أنّـــا ندافع عن الإسلام ..(والإسلام ذاته) صار في مجتمعاتنـــا إحـــدى لبانات المضغ التي تملأ فراغ المجالس والمنتديات والإذاعات وأجهزة البث الإعلامي المصور والمسموع لمن يحسن الحديث ومن لا يحسنه، فالإسلام صار شغل المرحلة من حيثيات أهمية مواضيعه وأُطروحاته ولا تخلو هذه المقالات وحزم الأفكار والتعليلات من فائدة وجدوى من حيث هي في محدود ثقافة مرحلتنا، وعندما نقول (الإسلام ذاته) نقصد أننا عندما نتحدث أو نناقش أو نحلل ونعلل أي شيء عـــن هذا الدين وما جاء به فإننا نصبغه صبغة تأسر الإسلام وتقولبه وفق ما نراه من وجهة نظرنا المعاصرة.. فنعطي الإسلام غـــير موقعـــه ونتناوله في واقعنا من حيث ما نحن فيه، لا من حيث ما يجـــب أن نكون عليه..

إننا جميعا وبلا إستثناء نحتكر المفهوم الإسلامي لصالح المرحلة التي ندير مصالحها.. ونقف متربعين على عرش التحكيم. لنقول: (هذا هو الإسلام) ونحن نمثله ونفهمه ونطبقه وقد نكون في هذا الفهـــم معذورون إلى حد ما لأننا هكذا عرفنا الإسلام في مدارسنا وحياتنا

وتربيتنا وتعليمنا.. فما الذي فقدناه إذن ؟

والجواب مُر .. ومرارته أن الحق ينطلق من غير واقعنا المألوف في تفسيرنا للإسلام ذاته.. والجواب يكمن في كوننا نفتقر إلى مقياس التمرحل الشرعي الذي يبرز مدى ثوابت الإلتزام لدينا من جهة، ويبرز أيضاً مستوى الجرأة على الدعوى فينا وما قد بلغنا إليه من إحساسنا الجاهل أننا على كمال الإرتباط بهذا الإسلام وأننا فعلاً أهله وذووه، وهذه علّة مستحكمة وقد تحولت من وجهة نظر الزمان إلى فضيلة نباهي بها العالم ، ولا ندري أننا في عين الذّل والعلّة .. نحن نخاطب العالم بالإسلام ، ولغة الإسلام قد فرغت من دخل عقولنا وسلوكنا وحياتنا..

والعالم يخاطبنا بلغة الثقافة الثالثة بالعلم النظري والتطبيقي المجرد عن العاطفة والغيبيات، وأصعب من هذه العلة.. تشخيصها.. وليس علاجها..

إذن فنحن في عصر يتحدث بلغة لا نفهمها.. ونخاطبه بلغة لها يدرك منها عبر النبرات والأصوات .. والمتحدثون هنا عن الديانة والتدين يجتهدون في إبلاغ المعرفة إلى الأجيال مفرغة عن محتواها.. وإنما تصل إليهم مترجمة بلهجات ثقافات العصر لا بلغة القرآن..

والناطقون بهذه اللهجات هم أولئك الذين يبحثون عـــن مـــستوى الرضا من أشباههم وأمثالهم لدى تفـــسيرهم لإســـلامية الواقـــع وصلاحية مبانيه.. وهم أيضاً الحائرون من لهجات العنف والتطرف باسم الإسلام.. فالإسلام في كلا الحالتين.. يعيش أزمة..

والواقع المعاش يبرزخ العقول والقلوب والألسنـــة في أحد طـــرفي الصراع.. إما :

١) الإسلام المترجم بلهجات التمرحل.. والإعلام..

٢) الإسلام الانفعالي الحركي المجتث. (المعبر عنـــه بـــالتطرف والإرهاب).

والراعون (للتمرحل) يهمهم كثيراً أن تظل حياة الأمة على هذا النمط الغثائي؛ لأن فيها مطلب الشيطان وأعوانه؛ بل هي ثمرة مـــن ثمرات تسييسه للواقع المبرمج للتاريخ الإنساني كله..

وإذا ما أردنا ولو لمجرد التجربة أن نسأل أنفسنا عن مجرد الإقتنـــاع بهذه الحقيقة المطروحة.. فهل نقتنع أو حتى أن نـــشرع في تفهـــم أسباب الإقتناع.. أم لا ؟

إن معاناة الأمة في (مجتمعاتها المعاصرة) قائمة على :

١) مواجهة الضغط العالمي المهيمن على كل شؤون القرار والحركة.

٢) الصراعات الداخلية الناشئة عن التمرحلات الغثائيـــة داخـــل الأوطان..

وكلا الحالتين بدأت (بنقطة صفر) وتراكمت حتى بلغت الذروة وانفجرت إحباطاً وحيرة وآلاماً وضبابية ، وفي غمـــرة الإحبـــاط والحيرة والآلام والضبابية يتحرك المشفقون بطبعهم علـــى ســـلامة الأمة يتحسسون مكامن النجاة ومخارج السلامة ينظرون في المحيط وحدوده فلعل وعسى..

الخـاتمـة ..

كانت هذه أهم قضايا المعاصرة التي نحتاج إليها في شأن الملاحظة على مدلولات إحياء لغة القرآن العالمية..

والإحياء هنا من وجهة نظرنا لا يعني تغيير ما قد سبق إثباته من تفسير أو استنباط أو تقرير لدى الأمة، فالملاحظ خلال نقاشنا مع بعض علماء المرحلة أنهم يعتقدون أننا نشجع على فتح باب التأويل للقرآن على غير ما فسر أو ما قرره علماء الإسلام.. أو يخافون من هذا الباب أن يفتح.. فلهذا يرغبون في سد الذريعة من أساسها، وهذا يعني أن لغة القرآن هي اللغة التي كتبها السابقون على كتبهم ومؤلفاتهم ولا غير ، بينما (حقيقة الأمر) أن لغة القرآن التي نحن بصددها غير لغة الاستنباط الشرعي التي توقفت عندها الأفهام ووجب علينا أمامها الإلتزام، فالأحكام الشرعية والأصول الحكمية علم لا يجوز تسور جداره ولا خوض ثماره إلاَّ لأهله. وإن كان الزمان قد أبرز لنا من يخالف هذا الإلتزام.. وأمره إلى الله..

وأما مسألة الفهم للمعاني باعتبار تجديد لغة الحوار ومخاطبة الوجه الآخر، بما يحتمله المدلول اللغوي ولا يتجاوز التفسير الشرعي فأمر لا يقف عند مستوى الحجز المعرفي لدى البعض. ولو من بعض

الوجوه.. فقد ثبت أن سيدنا أبا بكر الصديق سُئل عن قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾[1]، فقال: (البر هو اللسان، والبحر هو القلب).

وفي تاريخ الأمة علماء كالإمام القشيري رضي الله عنه من خاض بحر المفاهيم القرآنية فاستخلص تفسيراً إشارياً لكتاب الله تعالى سماه (لطائف الإشارات) وهو بهذا لم يعطل معنى من معاني التنـــزيل أو أسباب نزول الآيات؛ بل أبرز سعة المدلول القرآني لدى أهل الذوق عند اجتماع شروط المعرفة..

وقد اعتقد بعضهم أن إطلاق هذه الأبواب للمفكرين والبـــاحثين سيجعل حرمة القرآن مهانة ومخترقة.. حيث استدل بعضهم بقولـــه تعـــــالى: ﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[2] وإن السلامة في إتباع ما قد فرغ منه الأوائل في شتى الأمور.. ولا جديد.. والمعتقد والله اعلم أن الآيـــة تـــشير إلى

---

(١) الروم: ٤١.

(٢) النساء: ١١٥.

(مخالفة النصوص وليس إلى فهم ما تشير إليه من المعاني)[1] فالــذين نسميهم المؤمنين من رجال العلم والمذاهب قد اختلفت فهــومهم للنصوص حسب قدرات استنباطهم وفهمهم وإلاّ كان لزاماً علــى الإمام مالك ألاّ يخالف الإمام أبي حنيفة والإمام الشافعي لا يخالف الإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل لا يخالف رأي الشافعي..

بل لا ينبغي للإمام النووي والرافعي أن يخالفــا إمــام مذهبــهما الشافعي في المذهب، وهذه استدلالات على اختلاف في الــشريعة وليس في الفهم الذوقي للآيات..

وإذا قيل أن هؤلاء علماء أجمع الأمة علــى ســلامة تــوجيههم وعلمهم.. ونحن في عصر يختلف عن عصرهم وزمانهم.. فالإجابــة العادلة.. أننا نؤكد في مسألة ما رفع منه من الاستدلالات في العلم الشرعي.. أما في فهم كتاب الله.. فالباب لم ينغلق على المسلمين.. ما دام الفهم لا يخالف العقل ولا المفهوم اللغوي.. وإنما ربما جــاء بجديد معنىً لم يصل إليه السابقون، أو أوضح مسألة تجاوز ما أفصح عنها المتقدمون.. فهذا كما نعتقد لا يخالف الديانة ولا يدخل تحت

---

(١) أي أن سبيل المؤمنين فيما جمعهم الاختلاف المشروع.

معنى سياق الآية المستدل بها على المنع والتوقيف.. حيث أن الذي نحن بصدده لا يخرج القرآن عما أُنزل من أجله، ولا يشرع للأمة غير ما قد ثبت قوله وفعله ونقله..

ونَسأل الله تعالى أن يلهمنا الصّواب، ويمنحنا الثواب، ويجنبنا مسببات الهلاك والعقاب.. في الدُّنيا ويوم الحساب.. وهو حَسبُنَا ونِعم الوكيل نِعم المَولى ونِعم النصير .

الفَهْرَسْ

من آثار المؤلف

❖ سلسلة ((أعلام حضرموت واليمن))

١. الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى (ت ٣٤٥) .
٢. الإمام عبيد الله بن أحمد (ت ٣٨٣) وأولاده الثلاثة : بصري وعلوي وجديد .
٣. الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم (ت ٦٥٣) .
٤. الشيخ سعيد العمودي (ت ٦٧١).
٥. الشيخ عبيد بن عبدالملك بانافع (ت ١٠٠٦) .
٦. رابعة حضرموت : الشيخة سلطانة بنت علي الزُّبيبدية (ت ٨٤٣) .
٧. الشيخ معروف باجمال (ت ٩٦٩) .
٨. الإمام محمد صاحب مرباط (ت ٥٥٦) .
٩. الإمام محمد بن علي باعلوي ((مولى الدويلة)) (ت ٦٦٥) .
١٠. الشيخ عبدالله باعلوي (ت ٧٣١) .
١١. جلاء الهم والحزن في ترجمة الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس صاحب عدن (ت ٩١٤) .
١٢. بنو جديد : فئة اجتماعية وسلالة مباركة من ((آل البيت

النبوي)) من ذرية المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى عاشت بحضرموت وانقرضت في أوائل القرن السابع .

سلسلة ((منهجنا))

١٣. تقليب الأرض الخاشعة ، في الذب عن منهج الفئة الطائعة (١)
١٤. شروط الاتصاف ، لمن يريد المطالعة في كتب الأسلاف ، كالمشرع و الغرر والترياق والجوهر الشفاف (٢)
١٥. التنصيص المثبوت ، لإبراز المواقف العالمية في منهج آل البيت بحضرموت (٣)
١٦. المناصرة والمؤازرة ، لكافة منسوبي مدارس آل البيت النبوي في المرحلة المعاصرة (٤).
١٧. الأبنية الفكرية ، الجامعة لثوابت الطريقة العلوية الحسينية ، المتفرعة من حضرموت إلى مجموع البلاد الإسلامية (٥).
١٨. الأطروحة : وجهة نظر تحليلة ، لمحو الأمية الدينية ، المطبقة على الواقع الإعلامي المعاصر (٦).
١٩. الأفق الضيق : خلاصة مفيدة ، لمناقشات هادفة ، مع العديد من شباب وشيوخ مرحلة الغُثاء والوهن .
٢٠. رسائل الإفصاح ، عن شر ما تأتي به الرياح : متابعة وملاحقة

لدعاوي علماء الفتنة ، وعسكر النقض للعرى في بلاد الإسلام .

٢١. الاستشراق والتنوير، تضافر مبهم في مرحلة الغثاء نحو هـــدف مشترك.

٢٢. الإيضاح والإشارة لما أصاب الأمة من هزائم السقف المنهارة.

٢٣. الإحاطة والاحتياط من شبه الوقوع فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم عند قرب الساعة من العلامات والأشراط.

٢٤. كشف الأقنعة عن الوجوه الغثائية المقنعة .

٢٥. بين يدي الدجال.

٢٦. آل البيت ، فئة ممدوحة بالألسن والأقلام، مبغوضة في المعاملات والأحكام.

٢٧. الرموز والأصابع : مقارنة تاريخية بين قرامطة الأمس وقراصـــنة اليوم .

٢٨. إيضاح المعالم ، فيما اشتبه فيه الفهم على ابن العالم.

٢٩. مستجدات فقه الدعوة المعاصرة .

٣٠. المنظومة الكاشفة

❖ في الشريعة :

٣١. رسائل حضرموت (١) : بواعث الخوقلة فيما أثاره القـــائلون ببدعة الجهر بالبسملة .

٣٢. رسائل حضرموت (٢) : الموجز اللطيف في الخلاف في كفـــاءة النسب الشريف .

٣٣. دليل التائه الحيران ، فيما ورد عن ليلة النصف من شعبان .

٣٤. تفنيد الأقوال ، فيما يصل إلى الأموات من ثواب الأعمال ، وما اختلف فيه العلماء من متعلقات الواجب والمندوب عند حـــضور الآجال .

❖ في فقه الدعوة :

٣٥. فقه الدعوة في المرحلة المعاصرة .

٣٦. فقه الدعوة للمرآة المسلمة .

٣٧. رسالة لشباب وبنات المسلمين ورعاة الناشئين .

٣٨. مجموع الخطب المنبرية .

❖ في الفكر :

٣٩. الإحاطة والاحتياط من شبه الوقوع فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم عند قرب الساعة من العلامات والأشراط.

٤٠. كشف الأقنعة عن الوجوه الغثائية المقنعة .

٤١. بين يدي الدجال .

٤٢. الرموز والأصابع : مقارنة تاريخية بين قرامطة الأمس وقراصنة اليوم .

٤٣. رجال المنابر والمقامات أشد الناس حاجة للأخلاق .

❖ **في الأدب :**

٤٤. فيض الذكريات : وهو قسمان :

٤٥. الحفر على جدار الذاكرة الحمراء أو ((رحلة الحياة بين الواقع والقواقع)) .

٤٦. الخروج من الدائرة الحمراء : قصة هروب ذاتية من عدن إلى الحديدة ومن الحديدة إلى الحجاز .

٤٧. استدعاءات ذهنية قصيرة (١) : مدينة الفحارير .

٤٨. استدعاءات ذهنية قصيرة (٢) : رحلة وسمر من عدن إلى أحور.

٤٩. سياحة في ديوان الإمام الحداد .

٥٠. المورد العذب ((ديوان شعر)) .

٥١. بكاء القلم ((ديوان شعر)) .

٥٢. السباعيات ((ديوان شعر)) .

٥٣. نفثات من الشعر الحديث ((ديوان شعر)) .

٥٤. ديوان للقصائد المتفرقة .
٥٥. دراسة عن الشاعر أبو نواس ((بحث جامعي)) .
٥٦. دراسة عن الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنـــه ((بحـــث جامعي)) .
٥٧. مقارنة بين الشاعرين أبي نواس والعتاهية ((بحث جامعي)) .
٥٨. دراسة لديوان الإمام الحداد .

❖ في التاريخ :

٥٩. جلاء الخاطر في ربط سند الأوائل بالأواخر ((إجازة ووصية))
٦٠. الثبت المعمور لآل المشهور .
٦١. هولاء قدوتنا : مجموع كبير احتوى تراجم رجال العلم والعمل في وادي حضرموت ، وهو أصل ((سلسلة أعـــلام حـــضرموت واليمن)) .
٦٢. الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور أو ((العوالق في التاريخ)) .
٦٣. لوامع النور : نخبة من أعلام حضرموت من خلال ترجمة حيـــاة السيد علوي بن عبـــدالرحمن المـــشهور (ت ١٣٤١) ، جـــزءان مطبوعان ، والجز الثالث – تحت الطباعة – في ترجمة الجد العلامـــة

السيد أبي بكر بن علوي المشهور (ت ١٣٦٣) .

٦٤. قبسات النور في إيضاح حياة سيدي الوالـــد الـــداعي إلى الله الحبيب علي بن أبي بكر المشهور (ت ١٤٠٢) .

٦٥. جني القطاف في ترجمة الحبيب عبدالقادر السقاف .

٦٦. رشف السُّلاف في فوائد ودروس وكلام الحبيب عبدالقادر بـــن أحمد السقاف .

٦٧. تحقيق كتاب ((الجوهر الشفاف)) للخطيب .

٦٨. السحابة المطيرة في ذكر حياة الشيخ الخفيف الحاذّ الذي لا مال له ولا ولد الشيخ محمد بن يسلم بن عوض باخبيرة .

٦٩. ندى الأزهار في ترجمة الحبيب عبدالله بن حامد البار .

٧٠. البرهان الأشمل في مشاهدات السيد أحمد الأهدل .

❖ في السلوك :

٧١. بركات المجالس .

٧٢. اللطائف في أدب ((العوارف)) .

٧٣. مجموع في اختيارات عمل السلف .

٧٤. سياحة نفسية في رسائل الإمام الغزالي : ((كيمياء السعادة)) ، ((والرسالة اللدنية)) ، و ((المنقذ من الظلال)) .

٧٥. شرح ((بداية الهداية)) للإمام الغزالي .

❖ كتبٌ أخرى :

٧٦. الفنجان في بيان عجائب الإنسان والجان .

٧٧. الكتر العجيب في أخبار المجاذيب .

٧٨. دليل الطاعة قدر الاستطاعة.

٧٩. قطر الخزامى والبشام في رحلتي إلى حاضـــرتي الأردن الهاشميـــة ودمشق الشام .

❖ آثار أخرى :

٨٠. مجموعة كبيرة من المحاضرات والندوات الصوتية والمرئية المتضمنة المواضيع السلوكية والشرعية ومعالجاته لقضايا المرحلة المعاصرة .